المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية
المدينة المنورة
كلية اللغة العربية
قسم اللغويات

الجوانب الدلالية والفكرية في الدائرة اللغوية الكلامية

تأليف الدكتور
عبد العزيز سالم الصاعدي
دكتوراد في أصول اللغة وعلوم الدلالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوانب الدلالية والفكرية في الدائرة اللغوية الكلامية

تأليف الدكتور
عبد العزيز سالم الصاعدي
دكتوراه في أصول اللغة وعلوم الدلالة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين الذاكرين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، وبعد:

فإن خطوات التفاهم عن طريق اللغة إعجاز إلهي، وموهبة خص الله بها الإنسان، وكرَّمه بها ضمن مظاهر تكريمه الأخرى، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1] حيث جعل وسيلة الاتصال والتفاهم بينهم أرقى وأكرم من كافة وسائل التفاهم الأخرى، التي تتخاطب بها بقية المخلوقات، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[2] وعملية التفاهم عن طريق الدائرة الكلامية عملية معقدة سريعة، متتالية مترابطة مذهلة رائعة. خمس خطوات ومراحل في الدائرة الكلامية، يختلط فيها العقلي بالوجداني بالفكري، والنفسي بالذهني، والعاطفي بالخاطر والباعث على الكلام وترتيبه وتفصيل أجزائه على قدر حاجة المتكلم التي ألحت عليه لكي يُعبر عنها، ويرتبها ويُحدِّث نفسه بها قبل إرسال الرسالة في

(١) آية ٧٠ من سورة الإسراء.
(٢) آيتان: ٨-٩ من سورة البلد.

رمز لغوي يحمله صوت إلى أذن المتلقي. إذْ ما يتلقاد السامع عبارة عن مجموع دلالة ووجدان، وشعور وليس مجرد معنى، ولذا يحتاج المتلقي إلى جملة من الآليات التي تعينه على تحليل دلالة الرمز اللغوي الذي يحمل كل هذه المعطيات الآدمية البشرية، سواء اللغوي منها أم غير اللغوي؛ من اجتماعي ونفسي وشعوري، ووجداني وذاتي وشخصي، يمثل في النهاية ركاماً وثقافةً تجلت في الرمز اللغوي المنقول عبر الدائرة الكلامية.

وتَقْرُب الدلالة والمعنى وتوابعهما وضوحاً ووصولاً، وسرعةً وتكاملاً بين الطرفين بناءً على تكامل هذه المنظومة أو نقصها، عند كل طرف على حدة أو بين الطرفين معاً. وكلما كان تكاملها أشمل، والتوقع والتهيؤ بين الطرفين أوثق لمقصود المتكلم ومعرفته من قبل السامع، ولتفرس السامع وتوقعه لما سيقوله المتكلم، كلما كانت العملية الكلامية في منتهى السلاسة والكمال الدلالي.

حيث لكل إرسالية لغوية ظروفها، وطرفاها أو أطرافها، ومقوماتها، وظروف سياقاتها تبعاً للأُطر العامة المنظمة لعناصر الإرسالية اللغوية بما يعرف بالكفاية اللغوية، وامتلاك اللغة واستغلال القدرات الكامنة فيها لنقل الصورة دقيقة مكتملة كما هي في ذهن صاحبها إلى ذهن المخاطب المقصود بنفس الترتيب كما يشير الجرجاني عبد القاهر.

فبداية تحليل الرمز اللغوي يبدأ من وقت إعداد الكلام، ورسمه والتفكير فيه، فأي وضوح في التفكير ينتج عنه وضوح في التعبير، وكل وضوح في التعبير يعني تكاملاً دلالياً وعملية

تواصل ناجحة.

وما بين هاتين المرحلتين يأتي إنتاج الصوت اللغوي، وكيف يحدث، وجهاز النطق المسؤول عن حدوثه، وأجزاؤه، والصوت والحرف، والفرق بينهما، والبصمة الصوتية الخاصة بكل متكلم، وانتقال الصوت فيزيانياً من فم المتكلم إلى أذن السامع. والذبذبات التي تحمل الصوت، والتحكم في الصوت بشتى أنواع التحكم في هذه المرحلة الفيزيائية التي تبدأ من خروج الصوت من فم المتكلم وتنتهي عند مصافحة الصوت لأذن السامع. حيث تبدأ مرحلة استقبال الأذن للصوت، وفرزه في حزم دلالية حسب محتوياته وإرساله عبر الأعصاب السمعية والشعيرات العصبية إلى المخ أو العقل ليقوم بتحليله، ويتوقف إنجاح هذا التواصل على الانتباه في هذه المرحلة، والإصغاء وحضور الذهن والقلب ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(١). ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢) وهذا ما يضفي أهمية على الوسائل السمعية حيث يتم في هذه المرحلة الفرز الإجمالي للدلالة في حزم معينة، وعناوين كبيرة وتبقى التفاصيل الشاملة للتحليل الدلالي في المرحلة الخامسة.

ففي هذه المرحلة جزء دلالي وومضة معنوية سريعة، وفيها جانب يتبع وظائف الأعضاء والجانب الطبي السمعي، وفيها التباس بالمرحلة الخامسة في الدائرة الكلامية، وفيها طابع صوتي نفساني ذهني حيث بداية تحول الصورة السمعية إلى صورة ذهنية وهي مرحلة مهمة، فهي بوابة الدخول الدلالي إلى

(١) آية ١٢ من سورة الحاقة.
(٢) آية ٣٧ من سورة ق.

العقل والمخ، وهي كما يقول ابن خلدون: "السمع أبو الملكات" و"اللسان ابن الأذن"، ولا مطمع أن يغدو هذا الجانب علماً تجريدياً نظراً لهذه الاعتبارات حيث تتشابك فيه العلوم.

وهذه الخطوات الخمس تبرز فيها جوانب فكرية ودلالية مترابطة، خصوصاً المرحلتين الأولى والخامسة، كما سيتجلى في البحث بحيث نلاحظ أن الذي يرسله المتكلم ويتلقاه المخاطب ليس رمزاً لغوياً يحمله صوت، بل دلالة ووجدان وفكر وشعور وعاطفة تمثل شخص صاحبها وتنبئ عنه، وهذا ما يستقبله دماغ المتلقي ويسعى لتحليله. وما اللغة غير هذا إلاَّ نغم كما وصفها الجرجاني، أو رمز وصوت مجوفان من أية دلالة ودال.

فلا يمكن الفصل بين هذه المعطيات وبين اللغة، كيف وهي الباعث على إنتاج الكلام عبر الدائرة في مبتدئها، ومقصده وغرضه وهدفه عند منتهاها. وبالتالي فإن اللغة عبر دائرتها الكلامية تمثل قيماً فكرية ونفسية، وذهنية ووجدانية واجتماعية تتجلى في اللغة. ويتجلى فيها إنسانية الإنسان حيث كرمه الله بها، يُعبر بها تعبيراً لائقاً عن ذاته ، بعيداً عن أصوات الحيوان ، والمخلوقات الأخرى.

ومن هنا تأتي القيم الفكرية والاجتماعية، والنفسية حيث تظهر إنسانية الإنسان باللغة المعبرة عن فكره. وينهدم من شخصيته بقدر ما ينهدم من لغته حيث هي تنبئ عنه كما قال الشاعر زهير بن أبي سلمى:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ∴ فلم يبقى إلا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب ∴ زيادته أو نقصه في التكلم[1]

(١) شرح شعر زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب ٣٧.

ويقولون: "المرء مخبوءٌ تحت لسانه".

"وليس لك من الرجل إلا أصغريه قلبه ولسانه"، كما قال الحجاج بن يوسف لأهل العراق.

وقيل أرسطو لرجل وقف عليه وهو مضطجع: يا هذا تكلم حتى أراك؟!".

وقد اتبعت في هذا البحث الذي جاء بعنوان: "الجوانب الدلالية والفكرية في الدائرة اللغوية الكلامية" المنهج الوصفي، ووقفت على جملة صالحة من مظان البحث وجاءت خطته موزعة على خمسة مباحث يمثل كل مبحث مرحلة من مراحل الدائرة الكلامية، مع مقدمة، وخاتمة فيها نتائج البحث، وثمراته، وثبت للمصادر والمراجع الموجودة في تضاعيف البحث، والله المسؤول أن يوفقنا ويعيننا ويلهمنا رشدنا.

المبحث الأول

المرحلة الأولى وطبيعتها اللغوية النفسية والذهنية والوجدانية الدائرة الكلامية اللغوية:

خطوات التفاهم عن طريق اللغة والمراحل التي تتم فيها، وعن طريقها نقل الأفكار بين شخصين، أو أكثر (مرسل، ومتلق) أمر بالغ الأهمية والتعقيد من ناحية لغوية، ودقيق المعنى. تتجلى فيه قدرة الباري سبحانه وتعالى الذي منح الإنسان هذه القدرة بعد خلقه سويًا وتعليمه البيان، ومنحه الإبانة عن مكنونات نفسه، وخلجات ضميره عبر جهاز النطق، والذي يتنفس عبرد الهواء أيضاً ليعيش وحيث الهواء في ذاته جزء من عملية الكلام وإنتاجه، وعبر هذا الفم الذي يخرج منه الرمز اللغوي يأكل المرء ليعيش، فأهم ثلاثة أمور لإبقاء الإنسان حياً يمارس الحياة تكون عبر هذا الجهاز.

التَّنفس: وهو مستمر لا ينقطع ولو توقف ثوان معدودة لانتهت حياة الإنسان.

الأكل وهو ضروري لبقاء الإنسان حياً.

والكلام وهو احتياج نفسي واجتماعي، وهذا ما أطلق عليه أن الكلام هو فضلات جهاز النطق[1].

ويمكن أن تتم هذه الأمور مجتمعة في آن واحد، فيتكلم الإنسان وهو يأكل أو يشرب، أما التنفس فمعلوم أنه لا يتوقف البتة. فسبحان من خلق فسوى.

---

(١) ينظر: علم اللغة، العام ٦٩-٧٣، وعلم اللغة العام دو سوسير ٢٩-٣١.

وتنتظم عملية الكلام خمس خطوات[1] متتالية مترابطة في دائرة تبدأ من تفكير المتكلم وتنتهي بالأثر الحادث في السامع، والسلوك الذي يقوم به. وما بين تفكير المتكلم والباعث له على الكلام إلى الأثر الحادث في المتلقي مراحل أخرى مجملها خمس مراحل، وإن كان بعض الباحثين يدمجها في أربع فقط.

١- الأحداث النفسية، والوجدانية والشعورية، والعمليات العقلية الفكرية الذهنية الجارية في ذهن المتكلم قبل الكلام وأثنائه.

٢- عملية الكلام نفسها الناتجة عن عمل جهاز النطق، وإنتاج الصوت اللغوي.

٣- الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء الجهاز النطقي، وبوصفها أثراً مباشراً من آثار هذه الحركات والتي ينتقل عبرها الرمز اللغوي.

٤- العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي لدى السامع والتي وقعت بوصفها رد فعل مباشراً للموجات والذبذبات المنتشرة في الهواء.

٥- الأحداث النفسية والعمليات السلوكية التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام، واستقباله للموجات الصوتية المنقولة إليه بواسطة الهواء.

وهذه العمليات متسارعة ومتداخلة لا يكاد يفصل بينها فاصل معتبر، ولا يكاد يلحظ أولها من ثانيها من آخرها، خصوصاً إذا

(١) ينظر: علم اللغة العام ٩.

كان الكلام حواراً أو نقاشاً إذ تكون هناك تداخلات بين هذه المراحل والخطوات، ولفرط سرعتها لا تكاد تستبين أين تبدأ كل خطوة وأين تنتهي. وكم من الزمن تستغرق، مع أنها مترتبة ومتسلسلة ومتتابعة في إنجاز وإعجاز. وفي هذه الخطوات يمكن اعتبار كلا الطرفين متكلماً وسامعاً في الوقت نفسه، ولعل هذا يتضح من الحوار والنِّقاش والمجادلة، ومراحل التَّعبير عن الغضب المتبادل والْمُعبَّر عنه لغوياً، حيث يكون أحياناً الاتصال اللغوي في أقل من ثانيه بين الطرفين، ويمكن هنا أن تلاحظ مبدئياً أن الخطوة الأولى والخامسة هما اللتان تبين فيهما الدلالة والفكر، وكذا أيضاً بعض جوانب الخطوة الرابعة. وإن كانت الدّلالة فيها ومضة سريعة فهي عبارة عن وسيط ناقل. والدلالة التي فيها دلالة أساسية أولية وضعية معجمية وليست مكتملة شاملة.

أمّا الخطوة الثانية والثالثة فالأولى صوتية محضة، والثانية فيزيائية ولا دخل لهما في الدلالة سوى أن الأولى إنتاج الرمز اللغوي عبر جهاز النطق. والثانية هي حمل الأثير لهذا الرمز اللغوي من فم المتكلم إلى أذن السامع، وقد أُشبعت هاتان الخطوتان بحثاً[1] بعكس الخطوات الدلالية والفكرية فهي مهملة. ولهذا سنحاول أن نركز البحث كما هو عنوانه على الجوانب الدلالية والفكرية في الدائرة الكلامية مع عدم بخس مجمل الخطوات الخمس في الدائرة الكلامية حقها من العناية.

(١) ينظر: مخارج الحروف وصفاتها لابن الطحان ٨٣، ٨٧، ٩١، ٩٢.
وص ٢٢، ٢٤ من البحث.

المرحلة الأولى في الدائرة الكلامية:

الخطوة الأولى: نفسية فكرية؛ عبارة عن عمليات عقلية تقوم على استدعاء الأفكار، والتخيل والانفعال والمشاعر المختلفة، والرغبات المراد نقلها إلى ذهن السامع، أو المتلقى. ويعبر عنها هذا الحقل اللغوي: (ذهنية، فكرية، عقلية، نرو، روية، استنباط، تحليل، تركيب، نفسية، وجدانية، شعورية، انفعالية، عاطفية، إحساس شعور ... إلخ) حيث تجد دلالات هذا الحقل اللغوي متمثلة في هذه المرحلة.

"ولنفترض أن بداية الدائرة هي في دماغ (أ) حيث ترتبط الحقائق الفكرية (الأفكار) بما يمثلها من الأصوات اللغوية (الصور الصوتية) التي تستخدم للتعبير عن هذه الأفكار، فالفكرة المعينة تثير الصورة الصوتية التي ترتبط بها، وهذه الظاهرة السيكولوجية تتبعها عملية فسيلوجية، إذ يرسل الدماغ إشارة مناسبة للصورة إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات"(١).

ومن ثم تكتمل الدائرة بانتقالها إلى أذن (ب) بعد إنتاج الصوت.

فأساس قيام الدائرة اللغوية بإنتاج الرمز اللغوي ينبع من هذه المرحلة، وهي الدافع والمثير الفكري والوجداني والشعور لقيام وإنتاج الرمز اللغوي، ثم هي فوق ذلك ترتيب للفكر وإيضاحه، وترتيب إيقاع الرمز اللغوي عليه. نعم إنك تجد أن اللغة في هذه المرحلة متمثلة في الحقل اللغوي أعلاه بحيث نلحظ أن كل مفردة يمكن أن تكون موجودة في الباعث والدافع

(١) الأصوات اللغوية ٢٦، وينظر: اللغة والتفسير ٢٥، ٢٥٧، وفصول في علم اللغة العام ٣٤، ٣٥.

والمثير على إنتاج الكلام، والتفكير والترتيب، والتقديم والتأخير، وانضاج الأفكار والتفكير في معانيها وكيف توقع الألفاظ عليها. كل ذلك يتم نفسياً ووجدانياً وشعورياً مخالطاً أيضاً للفكري، والعقلي والذهني. وهذا أمر قد تفطن له القدماء كما يتضح ذلك بجلاء تام من النصوص التي وصلت إلينا.

ولو نظرت -قبل عرض هذه النصوص- في الآيات والأحاديث الصحيحة، والآثار والركام الثقافي، والشعبي لوجدت هذه المرحلة؛ وهي مرحلة التفكير في الكلام ظاهرة جلية مستقرة في وجدان الفرد والمجتمع.

ففي الحديث: (إن الله قد غفر لأمتي ماوسوست به أنفسها دون أن تتكلم أو تفعل)[1].

حيث أثبت الوسوسة أي (الكلام النفسي) ونفي كلام (النطق وإنتاج الكلام عن طريق اللسان).

ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ: أمسك عليك هذا. قال يا رسول الله أو نحن مؤاخذون بما نقول؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب النَّاس في النَّار على مناخرهم إلاَّ حصائد ألسنتهم.

فنفي المؤاخذة هنا في الوسوسة، والكلام النفسي والخواطر والوساوس، وأثبتها هنا في إنتاج الكلام من خلال الدائرة اللغوية، إذ فيه هنا القصد والغرض.

وهذا ما يؤمن عليه قوله أيضاً ﷺ: الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة[2]، وفسرها بعض المفسرين بأنه كلام النفس

(١) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٢٥/٤٣، ٤٤، رقم الحديث(٦٦٦).

(٢) ينظر: سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، رقم

وخواطرها وهو أمر معروف ومستقر.

وفي حديث السقيفة في وصف عمر ﷺ لحال نفسه قال: فزوَّرت في نفسي كلاماً، ثم طفق أبو بكر يتكلم فكأنه أتى على ما في نفسي. "فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلاَّ قالها في بديهته أو مثلها أو أفضل منها حتى سكت ولاحظ "تزويري" و"بديهته"؟!. وهذا ما يعرف بتوارد الخواطر.

ونقول في التَّعابير العربية الفصيحة، فقام في نفسي أي (وقع وحدثتها به).

ومنه قول ابن عمر ﷺ (فوقع في نفسي أنها النخلة)[٢].

ولو حاولت أن تجمع كثيراً من هذا لتأتى لك بقليل من التأمل والانتباه، والحد الفاصل بين تحضير الكلام وإصداره، هو النطق به عبر جهاز النطق. فعند إصدار الكلام تتحول الصُّورة الذهنية إلى صورة صوتية، ومن قَبْل ذلك كان هناك دافع ومؤثر حسي أو معنوي. (احتياج لغوي) ثم كلام نفسي وتحضير فكري، وامتزاج اللغة بالفكر وترتيب المعاني في الذهن، ثم إنتاج الكلام ولفظه ليكون صورة منطوقة معبرة عن الصورة الذهنية.

فالتصور والذاكرة، والقدرة التصورية لها مسيس العلاقة بكل هذا، وقد تفطن القدماء لهذه القضية[٣].

=

الحديث (٥١١٢).

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٩٥٩/٢، والخلفاء الراشدون ٢٩،٣٠.

(٢) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٣٥٤/١، رقم الحديث (١٣١).

(٣) ينظر: الخصائص ٣٣/١، العبارة من (الشفاء) لابن سينا ١، ٤، =

وكذا الكلام النفسي من شاكلة سأفعل هذا غداً، سأسافر الساعة السابعة وأصل إلى مكة الساعة العاشرة (والتصور الكامل) للأشياء قبل إنشائها وتجسيد اللغة وبنائها داخلياً وذاتياً وتركيز الاهتمام من اللغة المجسدة إلى اللغة المبنية داخلياً[1].

ومن اللطيف أنك تجد اللغة والدائرة الكلامية هي المنفذ الأساسي في التعبير عن خلجات النفس، وومضات العقل، واتقداح الفكر عبر اللسان... ولكن في حالات خاصة معينة نجد أن الصمت قد يعتبر حاله فيها دلالة حتى بدون ممارسة إنتاج رموز لغوية، خاصةً إذا كان ممَّن يُعبِّر بالصمت كثيراً.

فالصمت باعتباره لغة: احتجاجية أو تحكمية، أو لأي أغراض أخرى، ولكن الصمت هنا قد تُعبِّر عنه (السيمياء) كالوجوم في الحزن، وحمرة الوجه في الغضب، وانبساط الأسارير في الفرح.

ويمكن للاتصال البشري غير اللغوي (السيمياء) أن يُظْهر الصمت ويفضحه؛ حين تظهر علامات الانفعال والغضب والرضى، والحزن والإنكار في وجه صاحبه حتى لو لم يتكلم لغوياً. وهذا ما يؤمِّن على أنه في هذه المرحلة الأولى قد نضج واتضح في ذهن المتكلم دلالاته وأغراضه ولكنه حبس إنتاج الرمز اللغوي عنه وظهر في الجانب غير اللغوي "السيمياء".

وقد يصل الإنسان بالتدريب إلى أن يخفي أغراضه

ومعيار العلم للغزالي ٧٥، ٧٦، والمزهر للسيوطي ١/٤٣.

(١) ينظر: المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها ٨٠-٨٣. ومحاضرات في علم النفس اللغوي ١٩، ٣١، ٥٣، ٦٩.

وانفعالاته، كرجال المخابرات، والسِّرية الحربية. وأغرب من هذا إذا اتخذ من اللغة المنطوقة وسيلة لإخفاء ما يتلبس بـه؛ كـأن يتكلم مثبتاً بإلحاح ليغطي النَّفي، أو الرضى ليغطي الغضب. وهنا تقع المفارقة بين السيمياء واللُّغة، ولأيهما تكون الغلبة حسب مهارة الشخص، ومهارة المتلقي لمعرفة أيهما الاصدق دلاليا. ومن هذا التبسم وقت الهزيمة لإخفاء الخيبة، وامتصاص نشوة الخصم. فقد تسمع دلالة رمز لغوي من شخص يُثبت ولكن بإحساس معين ترى أن النفي هو الحقيقة. فالتصادم بين دلالة السيمياء والرمز اللغوي يقع كثيراً في مواقف معينة؛ في الارتياب أو التعمية أو التغطية، أو حالات إخفاء العواطف أياً كان نوعها. ومهارة المتلقي هنا هي الفيصل في تحديد أي الدلالتين أصدق.

ولو تميز المتلقي كالأطباء النَّفسيين، أو رجال التحقيق، أو أصحاب الفراسة لربما ضغطوا في اتجاه انبجاس الدلالة الحقيقية عبر رمز لغوي يقوله المتكلم عند انهياره في لحظة معينة بعد ما تفضحه السيمياء التي لا يستطيع التحكم بها، فيقر لغوياً بالحقيقة التي طبخت ورتبت، وحضرت في قرارة نفسه وخالطت شعوره وذهنه.

وقد اهتم قدماء اللغويين العرب بهذه المرحلة من الدائرة الكلامية، رغم أنَّ كثيراً من المحدثين يحاولون تجنب الحديث فيها، باعتبارها مع المرحلة الخامسة أمر غير لغوي، ولكنهم لا يستطيعون هنا فصل ما هو لغوي عن غيره[1] من النفسي،

(١) ينظر: فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي ٦١،

والاجتماعي والفكري، والوجداني والشعوري الكامن في هاتين المرحلتين. فوقعوا في بعض الخلل الذي تجاوزه القدماء بشمولية نظرتهم للدائرة اللغوية. نجد في كتب العقائد، والطوائف والملل والنحل بحوثاً عن الكلام النفسي ونسبة صفة الكلام إلى الله كما وصف الله تعالى نفسه بذلك، واختلافهم في تقرير هذه الصفة[1]. وليس هذا مكان عرضه وإن كان يؤخذ منه اهتمام المفكرين بهذه المرحلة من الدائرة الكلامية. وكذا نجد الجرجاني عبد القاهر من البلاغيين الذي أجهد نفسه في تقرير فيما يفكر المتكلم في هذه المرحلة. وزاد وأعاد في الحجاج والاحتجاج مستحثاً القارئ للأخذ برأيه.

"وعلم أن من سبيلك أن تعتمد هذا الفصل حداً، وتجعل النُكت التي ذكرتها فيه على ذكر منك أبداً، فإنها عمد وأصول في هذا الباب... لا سيما ما ذكرت من أنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك اتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحُكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في

=

١٣٢، ٢٥٤، ٢٦٥، حيث يتحدث عن استبعاد المعنى، والنحو والنظم، وعاء المعنى، انبثاق المعنى.

(١) المنهج الصحيح في هذا هو ما قرره السلف من إثبات صفة الكلام لله تعالى كما أثبتها لنفسه، وأن المعنى معلوم، وكيفية الصفة مجهولة، وأنها ثابتة لله كما يليق به سبحانه من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه.

النطق"[1].

"وإذا كان لا يكون في الكلم نَظمٌ ولا ترتيب إلا بأن يُصنَع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، وممّا لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته، بان بذلك أن الأمر على ما قلناه، من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتيبها معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداءَ حروف، لما وقع في ضمير ولا هَجَس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازلُ، وأن يجب النطقُ بهذه قبل النطق بتلك. والله الموفق للصواب"[2].

ويقرر الجرجاني أن الدلالة والمعنى والفكر ينصبُّ إلى وجود التعلق في صياغة الألفاظ، لتأتي على قدر المعاني. وأن الكلم المفرد لا تفكير فيه عند المتكلم. فالفائدة الدلالية للكلم في وجود تعلقها ببعضها لا في نفس معاني الكلم.

"... وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها وإنما جئت بها لتفيده وجوه التَّعلّق التي بين الفعل الذي هو "ضرب" وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق"[3]. فالفكر عند الجرجاني في المرحلة الأولى يتعلق بالتركيب والترتيب وليس بالكلمات المفردة.

وإنّما يتعلق الفكر بالكلمات المفردة فقط عند الجرجاني في

(١) دلائل الإعجاز ٥٣، ٥٤.
(٢) السابق ٥٥، ٥٦.
(٣) دلائل الإعجاز ٤١٣.

حالات ثلاث[1]:

- عند إدراك معاني كل لفظه على حده مثل: ضرب لإثبات الضرب.
- أثناء عملية الاختيار والانتقاء لتكوين عبارة أو جملة.
- عند تحليل النَّص اللغوي لمعرفة معناه والحكم عليه ونقده.

وفي نص مهم نراه يحلل هذه الدائرة، وأين يكون محط الفكر فيها. وإن كان غرضه هو بيان وجه المزية في النظم ولم يقصد قصداً لهذا: "فالنظم صنعة يُستعان عليها بالفكر، وتستخرج بالروية والفكر، والفكر لا يلتبس بالفكر وإنما يلتبس باللفظ، ومادامت الألفاظ معارض للمعاني فإنها تكون على قدودها وتابعة لها ودائرة في مجالها ترتيبا واتساقاً"[2]، فالفكر أولاً، ثم المعنى، ثم النصَّ لأن المعنى يستوجب النَّص.

"فترتيب الفكرة إذن، هو ما يعنيه الناطق باللفظ، ثم ترتب الألفاظ بما يدعو إليه تأمل وترتيب الفكرة ويستهدي في ذلك العقل، التزاماً بوحدة فكرية تربط بين أجزاء المضمون الأدبي، وهذا هو أساس النظرية الدلالية للنظم عند عبد القاهر الجرجاني، العقل والفكر قمة، يربطهما بالمعاني ما يسمى بسلطان النفس، والنظم يحتاج للفكر والرَّوية لترتيب الفكرة، والفكر لا يتلبس بالفكر، وإنما يتلبس باللفظ، فالفكر أولاً ثم المعنى ثم النص، تم ترتيب اللفظ بما يدعو إليه تأمل وترتيب

(١) ينظر: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ٢٢١، وينظر: ٢١٧-٢٢١.

(٢) دلائل الإعجاز ٤١٣.

الفكرة، ويستدعي ذلك تفعيل التزاما بوحدة فكرية تربط بين أجزاء المضمون الأدبي"[1].

وفي معرض إقامة جدله وحجاجة على الانتصار للنظم على حساب المعنى واللفظ نستطيع أن نستشف ضرورة الكلام النفسي. وأنه لا يتأتى كلام إلاّ بأعمال الفكر والرّوية؛ وهي التفكير والتبصّر والتأمل، وتحضير الكلام في موضوع ما. وترتيب أجزاء ذلك الكلام والرمز اللغوي حسب الغرض المقصود إخراجه كضرورة نفسية فكرية ذاتية ليصل إلى ذهن المتلقى مصوَّراً.

"حتى إنك لو قلت لهم إنه لا يتأتّى للناظم نظمه إلاّ بالفكر والرَّوية فإذا جعلتم "النظم" في الألفاظ لزمكم من ذلك أن تجعلوا فكر الإنسان إذا هو فكر في نظم الكلام، فِكْراً في الألفاظ التي يريد أن ينطق بها دون المعاني = لم يبالوا أن يرتكبوا ذلك وأن يتعلقوا فيه بما في العادة ومجرى الجبلة من أن الإنسان يُخيّل إليه إذا هو فكّر أنه كأنه ينطق في نفسه بالألفاظ التي يفكر في معانيها، حتّى يُرى أنه يسمعُها سماعه لها حين يخرجها من فيه، وحين يجري بها اللسان... وهذا تجاهل..."[2].

ويُشبِّهه بكون الإنسان يتخيل أحياناً أشياء يراها ولا يلزم رؤيته لها "كذلك لا يكون تخيُّله أنّه كأنّه ينطق بالألفاظ، موجبا أن يكون ناطقاً بها، وأن تكون موجودة في نفسه حتى يُجْعَل ذلك

---

(١) تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام ١٥٠، ١٥٥، وينظر: ٤٣١، ٤٣٢.

وينظر: محاضرات في علم النفس اللغوي ٤١، ٥٣.

(٢) دلائل الإعجاز ٤١٥، ٤١٦.

سبباً إلى جَعْل الفكر فيها"[1].

تأمل هذا:

ينطق لغوياً ... تَخيُّله أنه كأنَّه ينطق بها.

في نفسه ... وأن تكون موجودة في نفسه.

التي يفكر في معانيها ... حتى يجعل ذلك سبباً إلى جعل الفكر فيها.

حتى كأنَّه يسمعها ... يتخيل أحياناً أشياء يراها ولا يلزم رؤيته لها.

"أن الاتجاه اللغوي الذي سار عليه عبد القاهر في نظريته وأشار إليه السلف، هو اتجاه علمي يرفض الفصل بين اللغة والفكر، فبينهما علاقة عضوية ثابتة لأن اللغة رداء للأفكار، والألفاظ خادمة للمعاني، ومعبّرة عنها، كما أنها مصورة لها"[2].

فالعلاقة بين اللغة ككائن، والفكر كوجود علاقة عضوية طبيعة غير منفكة البتة وفي المرحلة الأولى نجد وضوح هذه العلاقة في أن الفكر ينصب على المعاني التي تسبق وجود اللغة الخاصة بالفرد، التي ينتجها عند إحساسه بالحاجة إليها لتنفيس عواطف، أو احتياج ما، وأي اضطراب في الفكر يتبعه اضطراب في ترتيب الكلام ويبدل من صورة حقيقة المعاني، وأي وضوح في التفكير ينتج عنه وضوح في التعبير.

"ولا غرو فإن الوضوح في التفكير ينتج عنه وضوح في التعبير، ذلك لأن اللغة وسيلة إلى التعبير عن الفكر. كما أن

(١) السابق ٤١٦، وينظر: ٦٤، ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام ١٥٠، وينظر: ١٥١-١٥٥، ٤٣١، ٤٣٢.

الخطوط والألوان واسطة إلى إبراز خيال المصور"[1].

"وأرى أن كل تبديل في التفكير يجب أن يتبعه تبديل في الكلام زيادة أو كثرة، وأي اضطراب بالفكر يتبعه اضطراب في تركيب الكلام، ويبدل من صورة حقيقة المعاني"[2].

والمعنى سابق للُغة، والفكر كائن قبل اللُغة، والعاطفة قبل الفكر فهو الجوهر وهي القشور، وعن طريق النفس تنقدح المعاني، ويتم ترتيب الأفكار على النحو الذي يستفيد منه الناطق معاني ما أراد، ثم تأتي مرتبة ترتيب النطق بالألفاظ مرتبة حسب ترتيب المعنى الفكري، وما الألفاظ إلا أوعية للمعاني تتبعها في مواقعها[3].

"وبهذا وصل عبد القاهر بين نظم اللغة وبين المضمون في ترتيبه المنطقي فوضع للعقل أساساً ومكانة في العمل الفني. تهدي إلى وحدة النسق بما أعطى للفكرة من قيمة نادى بها بعض الفلاسفة حين تصدوا لتفسير النص القرآني..."[4].

تأمل هذا:

تنقدح المعاني انقداحاً.

يتم ترتيب الأفكار حسب مراد الناطق.

يأتي ترتيبها مرتبة ترتيب النطق بالألفاظ ومتتابعة حسب ترتيب المعنى الفكري.

---

(١) عبقرية اللغة العربية ١٥.

(٢) تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام ١٦٨.

(٣) ينظر: تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام ١٨٧.

(٤) أفياء أفنان في أصول اللغة ٢٤٧، وينظر: ٢٤١-٢٤٦، وفصول في علم اللغة العام ٤٥.

وغير الجرجاني. نجد ابن جني الذي يرى أن اللغة بمجملها صورة عن عقلية وذهنية الناطق بها. وأقام كتابه الخصائص على هذه الفكرة كركيزه من ضمن ركائز أخرى، وكان يرى عبقرية العربي وفكره إنما تبين في لغته.

وأصرح من هذا تركيزه أن الدلالة الكاملة لا تكون إلى ضمن الدائرة الكلامية... حيث تبين الأغراض بمشاهدة الوجود، وملاحظة السيمياء للمتحدث مباشرة[1] وهو ما أقرَّه الدرس اللغوي الحديث.

وكذا ابن خلدون في مقدمته؛ حيث يرى أنَّ الإنسان في صفته اللغوية ابن لبيئته إجمالاً؛ فهو ينطق أثناء كلامه بما نَشأ عليه في بيئته البدوية، أو الحضرية أو السهلية أو الجبلية، أو المهنة التي يمتهنها والحرفة التي يمارسها[2].

وكذا سيبويه وابن سيناء[3] وغيرهم من علماء اللغة القدامى[4].

"وعملية الكلام تتم على هذا النحو: التفكير العقلي أولاً. ونظراً لأن التشريح للمخ لم يكشف عن "ديناميكيته" تماماً فإن الباحث اللغوي لا يقف طويلاً عند عملية التفكير وتفسيرها بالتفصيل أمام هذه العملية الفكرية والأوّلية"[5].

---

(١) ينظر: الخصائص مثلاً ١/٢٤٧، ٢٤٨، و٢/١٢، ٢١، ١٥٢، ٣٦٠، ٤٦٦.

(٢) ينظر: المقدمة ١٠٧٨، ١٠٨٠.

(٣) ينظر العبارة لابن سينا ٢-٥.

(٤) ينظر: المزهر للسيوطي ١/١١-٤٠، ومعيار العلم للغزالي ٣٥-٣٦.

(٥) علم اللغة العام ٦٩.

أقول وهذا عين الخطأ لأن ابن جني كان أوعى حين إذ جعل هاتين المرحلتين الأولى والخامسة في الدائرة الكلامية مهمتين. بل جعل حضور أداء الدائرة الكلامية هو السبيل الوحيد لمعرفة كنه الدلالة الكاملة في الموقف الكلامي. وهو ما عرف بسياق الحالة والذي أيده عليه اللغوي الإنجليزي فيرث.

"واللغة أكثر من مجموعة أصوات، ومع الرقي والنضج أصبحت أداة الحضارة بعد أن كانت أداة انفعالية تترجم العواطف والانفعالات، وترجم بها الإنسان عناصر الحياة إلى رموز لغوية يُتفق عليها تختزن في الذهن، وتستحضر وقت اللزوم لعلاقة مسبقة فتصدر الأصوات، أو تكتب الرموز فتعبر عن المعاني حين تتكامل عملية التكلم. ويختار الذهن للحديث ما يناسبه وما يشابهه من رموز لغوية، ولذلك فإنَّ للغة أوثق الارتباط بالفكر وهي وسيلته أيضاً ومساعدته، كما أنها تقيد حركته وتنظمها"[1].

وهذا معناه أنه لابد من متكلم ومخاطب، وأشياء تجول في الفكر وتريد التحدث عنها، ورموز متفق عليها، لها في الذهن صور ومعان معينة، وقبل كل هذا لابد من مؤثر خارجي أو داخلي يدفع إلى الكلام حتى تأتي مرحلة تكوين الرسالة وإطلاق أصواتها من المتكلم وانتقالها عبر الهواء في موجات صوتية، حتى تتلقفها أذن السامع وترجمة المخ لها، وأخيراً تصرُّف المستمع على مقتضى الرسالة التي وصلته طبقاً لما تحمله من معنى[2].

(١) علم اللغة العام ٦٩، وينظر: علم اللغة العام لدوسوسير ٢٨-٣٣. والأصوات اللغوية ٩، وعلم اللغة واللسان ٦١، ٦٩.
(٢) ينظر: علم اللغة العام ٦٩-٧٠.

يقول ماريوباي عن الارتباط بين الظاهرة النفسية والحركة العضوية: "عملية الكلام تتكون من جانبين: عضوي ونفسي، وحركة الكلام تبدأ من الرباط النفسي أو العقلي الذي سبق الاتفاق عليه في عقول المتكلمين بين دلالة معينة ومجموعة من الأصوات ترمز إليها، ولكن سرعان ما تنتقل إلى العملية العضوية عن طريق إشارات عصبية يرسلها العقل إلى الجهاز النطقي لإنتاج الصوت المطلوب"(١).

(١) أسس علم اللغة ٤١، وينظر: محاضرات في علم النفس اللغوي ٦٩، ١٣٣، ١٣٥، وعلم اللغة العام ٦٩-٧٠.

المبحث الثاني
المرحلة الثانية وطبيعتها الصوتية
مرحلة إنتاج الرمز اللغوي من خلال جهاز النطق

هذه المرحلة من الدائرة الكلامية والتي بعدها؛ أي المرحلتين الثانية وهي إنتاج الصوت اللغوي، والثالثة وهي انتقاله فيزيائياً عبر الأثير من فم المتكلم إلى أذن السامع قد أشبعتا بحثاً في كتب، وأبحاث مستقلة[1]. وليس فيهما في ذاتهما جوانب فكرية أو دلالية إلاَّ بقدر ما تنتج أو تحمل الرمز اللغوي الحامل للدلالة.

والمرحلة الثانية من الدائرة الكلامية هي إنتاج الصوت اللغوي بعد ما تأتي الإشارة من المخ، ليقوم جهاز النطق في هذه المرحلة بإنتاج الصوت اللغوي مطابقاً للأفكار والوجدانيات والمشاعر، والأغراض التي تم التفكير فيها، وترتيبها بتروٍ وتمعن في المرحلة الأولى حتى استوت على سُوقها. ومن ثم يجب أن يكون الرمز اللغوي المعبر عنها مطابقاً لها تماماً. كما سبق إيضاحه[2].

وليس مهمتنا هنا رسم جهاز النُّطق، ولا تشريحه وبيان أجزائه وتفصيل الحديث في هذه الأجزاء، وبيان مواقع الأبجدية على كل جزء منها في حيِّزه وبيان مخرج كل حرف، وكيف يخرج؟ وصفته، وكيف تحدث؟ وما حقيقة الهمس والأصوات

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ١٩، ٩٩، ١١١، ١٦٦، والأصوات العربية ٩، ٦١، ١١٨، ودراسات في أصوات اللغة العربية ٣٤-٣٧، وفصول في فقه اللغة العام ٦٧، ٧٧، ٨٥، ٩٥، ٩٨، وأسس علم اللغة ٣٨، ٤٤، ٤٥.

(٢) ينظر: ص ١٨، ١٩، من البحث.

المهموسة أو المجهورة أو المطبقة، أو أصوات الصفير، فهذا ليس مما يتضمنه عنوان البحث هنا، ثم أنه يطول بنا المقام لو استغرقنا في بعض التفصيلات. وهذا مما لا تحتمله طبيعة البحث هنا وحسبنا أن نشير إلى بعض مصادر كل ذلك(١).

إنَّ غاية مهمتنا هنا أن نَصِل هذه المرحلة التي يتم فيها إنتاج الرمز اللغوي المطابق لمارُسم في الذهن بالمرحلة الأولى، ثم أن تُوصلنا هذه المرحلة إلى المرحلة الثالثة التي يتم فيها انتقال الصوت فيزيائياً عبر الأثير إلى أذن السامع لنواصل حديثنا في مراحل الدائرة الكلامية.

أمَّا كيفية إنتاج الصَّوت اللُّغوي في الدائرة الكلامية فهذا له جانبان:

- جانب يكتفي فيه الباحثون بذكر مكونات إنتاج الكلام. والطريق التي يسلكها في جوانبها المادية المحسوسة؛ من خروج الهواء من الرئتين إلى الوترين الصوتين إلى اهتزازهما. إلى أجزاء جهاز النطق ونحو ذلك، مما يشيع في كتب الأصوات اللغوية .

- وجانب لم يُتوصل إلى معرفته، ولا تعليل كيفية حدوث الكلام أو عدم حدوثه مع توفر أسبابه.

ففي الجانب الأول المرتكز على تشريح وأجهزة ومعامل صوتية نجد أنَّ هناك جانب من المخ يرسل إشارة عن طريق الأعصاب إلى مركز التكلم في المخ، ويتم إنتاج الكلام بإخراج

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٩٩-١١٠-١١١، والأصوات العربية ٦١-٦٣.

الهواء من الرئتين فيمر من خلال بوابة جهاز النطق "الوترين الصوتين" ليحمل اهتزازهما مروراً بالحلق بأجزائه الثلاث، التي يقع في كل حيز منها مخارج بعض الحروف؛ حيث الحروف مقسمة على جهاز النُطق بَدْءًا من الهمزة في الوترين الصوتين. إلى الباء في الشَفَتين والغُنَّة في الخيشوم[1]. وما بينهما كلها أجزاء تقع فيها مخارج الهجائية اللغوية كل لغة بحسب أبجديتها، أو ألف بائيتها، وبعد ما يمر الهواء عبر الوترين الصّوتيين اللذين يهتزان، يتشكل كل فونيم بشكله الصوتي المسموع والمتعارف عليه، شديداً كان أو رخواً مهموساً أو مجهوراً وغير ذلك من الصِّفات[2].

فالاهتزاز للوترين الصَّوتين وبقية أجزاء جهاز النُّطق الثابت منها والمتحرك هو المحور في إنتاج الصَّوت؛ حيث تتحول الصورة الذِّهنية إلى صورة صوتية بحسب الدَّافع والمثير اللغوي في المرحلة الأولى حسيا كان، أو معنوياً، فكرياً أو وجدانيا. والهواء هو الوسط الذي تنتقل خلاله الهزات في معظم الحالات.

وقد أوقع الدكتور عبد المجيد هذه المرحلة ضمن علم الأصوات الأكوستي Acoustic Phonetics [3] ، والصحيح أنها ضمن علم الأصوات النطقي لا السمعي.

---

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ١١٧، ١٦١، ١٦٥، ٣١٣، وأسس علم اللغة ٧٥-٧٧، ومجلة الدراسات اللغوية مركز الملك فيصل لبحث بعنوان اتجاهات معاصرة في الدراسات اللغوية ١٣٣-١٣٧، ١٨٢، وفصول في فقه اللغة العام ٩٢.

(٢) ينظر: الأصوات العربية ٧٣-٨٦، ودراسة الصوت اللغوي ١١١-١٣٤.

(٣) ينظر: علم اللغة النفسي ١٠.

ويتضمن أيضاً دراسة النظام الصوتي في اللغات الفونولوجيا Phonologh

ويرسل الصوت على شكل تموجات هوائية عبر الهواء فتصل إلى السمع فتحدث فيه أثراً يجعل الأفراد الآخرين المتواصل معهم مستعدِّين للرَّد على هذه التموجات بواسطة جهازهم الصوتي، لأن هذا الجهاز موجود عند كل إنسان(١).

ومن عوامل حدوث الصوت إجمالاً الطَّرق، والاصطدام. والاحتكاك (كالسير) وفصل الجزئيات المادية كقطع القماش. والتفاعلات الكيماوية، والشرارات الكهربائية، وكل هذا غير حدوث الصوت اللغوي. وإن كان يمكن لبعض هذه العوامل أن تكون سببا في الصوت اللغوي كالاصطدام، والاحتكاك بين الهواء المندفع من الرئتين وبين أعضاء النطق.

و"يخلط كثير من الناس بين الصوت والحرف، فهذا الأخير يختلف كثيراً عن الصوت، لأنه عبارة عن رسم تعارف الناس على صناعته بالأيدي فيلمس بالعين المجردة، ويعاين بالقلم والحبر على الورقة؛ أي يكتب؛ إذن هو كم مادي أو هو شكل هندسي يدركه كل فرد تعلَّم القراءة والكتابة، ويفهمه في حين أن الصَّوت لا يلمس بالعين ولكن يدرك بالسمع، وهو لا يُرى لأنه عبارةعن تموجات صوتية تُرسلها عضلات الجهاز الصوتي"(٢).

والناس الذين تنتج لهم الصورة اللغوية مستعدين للرد عليها، والتفاعل مع هذه التموجات بواسطة جهازهم الصوتي، لأن هذا

(١) ينظر: البنيوية في اللسانيات، الحلقة الأولى ٢٥، وعلم اللسان ٩٠.
(٢) البنيوية في اللسانيات، الحلقة الأولى ٢٥، وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٤٦-٦٦.

الجهاز موجود عند كل فرد.

إن الكلام لا يمكن أن يدرك إلا إذا كان الإنسان قادراً على تمييز الأصوات. وكمية المعلومات التي سيحصل عليها المستمع من المتكلم تتعلق إلى حد كبير بقدرته على تمييز الأصوات عن بعضها، وهذه أمور خاضعة للفروق الفردية وفيها تفاوت كثير بالنسبة لمنتجي الرموز اللغوية(١).

والصوت الإنساني هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النَفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيُحْدِثُ تلك الاهتزازات. والصوت الإنساني مُعَقَّد. كما أن لكل إنسان صفة صوتية خاصة تميز صوته من صوت غيره من النَّاس، وليس صوت الإنسان في أثناء حديثه ذا شدة واحدة، أو درجة واحدة بل هو متعدد الشدة والدرجة، وتتغير هذه الأمور عند كل مقطع تقريباً(٢).

فهذه البصمة الصوتية الخاصة بكل إنسان متنوعة في داخلها تنوعاً لا يخرج عن الإطار العام لها؛ بحيث يتنوع صوت الإنسان في حالاته الانفعالية والمزاجية والعضوية، وأمراض الجهاز التنفسي تنوعاً لا يُخرجها عن إطارها الخاص بها كبصمة صوتية. وليس بخاف ما اكتشفه العلم للصوتي الحديث واستثمره الجنائيون وعلماء الجريمة، والمسمى بالبصمة

(١) ينظر: علم اللغة النفسي ٦١، وينظر: علم اللغة العام لدى سوسير ٦٩، ٧٠، والعربية وعلم اللغة البنيوي ١٣٥، وفي بناء الجملة العربية ٢٦-٢٨.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية ٨، ودراسة الصوت اللغوي ٢٠-٢٨. ودروس في السيميائيات ١٦، ٢٣.

الصوتية التي ينفرد بها كل صوت إنساني عن الآخر بحيث لا يتشابهان. تماما كبصمة الإبهام.

وتؤثر العوامل التالية[1] على تفاوت درجات الصوت وحدته وعمقه وهي:

- السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين مع عملية التنفس.
- مرونة عضلات الحنجرة.
- طول الوترين الصوتين أو قصرهما.
- نسبة شد الوترين أو رخاوتهما.

"إذاً ما الصوت اللغوي؟ وما فائدته؟ وهل هو مجرد ذبذبات تقرع الأذن. هل الصوت هو اللسان؟ لا. فهو وسيلة الفكر ليس إلاَّ. ليس له وجود في حد ذاته، أو وحده بعيد عن الفكر. وهنا تظهر لنا علاقة جديدة صعبة فالصوت هو وحدة مركبة في نطق وسمع يرتبط بفكرة ، ليكوِّن وحدة فسيولوجية -سايكلوجية- (وظيفة نفسية) مركبة. ومع كل هذا فالصورة لم تكتمل بعد، واللسان له جانبان: فردي واجتماعي، ولا يمكن تصور أحدهما بدون الآخر"[2].

ويظهر أثر الصوت ويمكن تعليله وتحليله، ودراسته أكثر من الصوت نفسه الذي يصاحبه عروض، وتشابك عدد من العوامل المؤثرة فيه. فالصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ١٠، وعلم اللغة النفسي ٢٣٢، ٢٣٣.
(٢) دروس في الألسنية العامة ٢٦، وينظر: دراسة الصوت اللغوي ١٩-٤٤.
وعلم اللسان ٩٠، وفصول في علم اللغة العام ١٩٥، ٢٥٢.

دون أن نحيط بحقيقتها. فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، على أن تلك الهزات لا تدرك بالعين في بعض الحالات، كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي، أو سائل أو صلب حتى تصل إلى الأذن الإنسانية[1].

وقد دلت التسجيلات الصوتية على أنَّ الناطق لا يحاول تمييز حدود الكلمات، بل ينطق بمجموعة منها في جملة أو عبارة، وقد تشابكت أطرافها واختفت حدودها، ولا يكاد يتوقف عن النطق إلاّ حيث ينقطع النفس، أو حيث ينتهي الكلام إلى معنى مستقل بالفهم يُحقق الهدف من النطق[2].

وقد تمت مرحلة السمع عند الإنسان قبل مرحلة الكلام[3]. وهذا معنى قول ابن خلدون اللسان ابن الأذن، فهو يتكلم بما يسمع. وثقافته النطقية قائمة على ثقافته السمعية. وعلم الأصوات النطقي قائم على الانطباع السمعي. وهذا ما نحتاجه في دراستنا للجانب السمعي، وللمنهج المتبع في دراسته[4]، هذا بعض ما يمكن أن يقال في الجانب الأول.

وفي الجانب الثاني العصي إلى الآن عن الكشف عن سرد

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ٦، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٢٢-٢٣، ٤٢.

(٢) ينظر: دلالة الألفاظ ١٩٤، والبنيوية في اللسانيات ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، ودراسة الصوت اللغوي ٧٣، ٩٤، والعربية وعلم اللغة البنيوي ١٣٥.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ١١، وفقه اللغة في الكتب العربية ٧٢، ٧٤، وقواعد تحويلية اللغة العربية ٣١.

(٤) ينظر: ندرة الدراسات اللغوية في علم الأصوات السمعي ٤٦.

وهو كيف يحدث الكلام بعيداً عن تحليل حدوثه بالهواء والأوتار الصوتية وجهاز النطق. فهذه آليات يحدث عبرها عندما يتم حدوثه، أمّا كيفية حدوثه هو ذاتاً فهذا سر إلهي معجز في خلق الإنسان ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١).

ولكي نتأكد من أن السِّر خافٍ إلى الآن، نسأل لم لا يحدث الكلام مع توفر أسبابه من هواء، وجهاز نطق في حالات معينة من البكم الخَلْقي، أو الطارئ بسبب حادث، أو عارض نفسي، أو هستريا من خوف ونحوه، أو في حالات الجلطات الدماغية، وإصابة مواطن التكلم في المخ، وتعطلها؟ وكيف تعمل هذه المواطن في المخ، ومراكز التكلم؟ يحتج بعض الباحثين بأن أخلاقيات معينة تمنع العبث بدماغ الإنسان. وأعتقد أن الأمر أعقد من هذا بكثير مما يشعر الإنسان بعجزه وجهله مهما بلغ من العلم ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٢) ويزيدك عجزاً أن تعلم أن هذا الأمر المعجز؛ وهو الكلام يتأتى عبر جهاز يقوم بوظيفتين أساسيتين هما السر في وجود حياة الإنسان وإبقاؤه حياً؛ وهما عملية التنفس التي تلازم الإنسان من لحظة مولده إلى لحظة وفاته، حيث تمر عبر الجهاز التنفسي من الرئتين والفم والخيشوم مروراً بالحلق، وهو نفس طريق ومجرى الكلام، وكذا عملية الأكل والمضغ والبلع والشرب تتم عبر الفم والحلق، أو الأنف في الحالات المرضية وهو مجرى وطريق الكلام.

(١) آية ٥٣ من سورة فصلت.
(٢) آية ٨٥ من سورة الإسراء.

ثم أنك تلاحظ تبعاً لذلك أن لكل عضو من أعضاء جهاز النطق مهمة أخرى غير إنتاج الكلام والصوت، تكاد تكون هي الأساس فيه كالتذوق بالنسبة للسان، والقطع والمضغ بالنسبة للأسنان والأضراس، والشم بالنسبة للأنف.

إذاً غاية ما لنا إلى الآن أن نحلل عناصر الهواء. وجهاز النطق ومواقع الفونيمات على هذا الجهاز، ومعرفة صفاتها وأوصافها، ومخارجها وكيفية خروجها، وما ينتج عن تجاور حرفين، ووضع جداول للحروف المشتركة في حيز أو نطاق، أو صفة، وما شابه ذلك من المس الخفيف. وأما حقيقة حدوث الكلام، وأنه هبة من الله للبشر تحدث بإراداتهم إذا مكّنهم الله من ذلك. وتسلب منهم حتى لو أرادوها عندما تُسلب. فهذا مما لم يكشف عن سره إلى الآن.

المبحث الثالث
المرحلة الثالثة وطبيعتها الصوتية الفيزيائية
(انتقال الرمز اللغوي من فم المتكلم إلى أذن السامع)

وهي المرحلة الواقعة من فم المتكلم إلى أذن السامع، طالت تلك المرحلة بالبعد واضطررنا إلى النداء والصراخ، أم قصرت إلى النجوى والإسرار والوشوشة في الأذن.

فالصوت اللغوي هو: الذي يحمل الرموز اللغوية والتي تحمل في طياتها الدلالة اللغوية المرسلة للمخ عبر تموجات في الهواء، وذبذبات تحمله حتى يصطدم بصفحة الأذن الخارجية التي تلتقطه إلى الأذن الوسطى فالداخلية، فالممر السمعي والأعصاب السمعية، والقنوات الهلالية عبر الصيوان إلى العقل ليمكن تحليل فحوى الرسالة اللغوية عن طرق المخ[1].

وقد جعل د/ عبد المجيد منصور هذه المرحلة داخلة في علم الأصوات السمعي (الأكوستي) Acoustic phonetics وفسّر ذلك بأنه العلم الذي يعني بدراسة موجات الصوت، وكيفية انتقالها في الهواء، ووصولها إلى السمع والعوامل المؤثرة في ذلك[2]، والدّقة أن هذا الفرع هو فرع الأصوات الفيزيائي، وليس السمعي كما هو مقرر في فروع علم الأصوات اللغوية[3].

فالمجال الذي يقطعه الصوت هو النقطة المبتدئة من فم المتكلم إلى أذن السامع، طال ذلك المجال أم قصر؛ إذْ قد يكون

(١) ينظر: علم اللغة النفسي ١٠، ودراسات في أصوات اللغة العربية ٣٥-٣٧.

(٢) ينظر: علم اللغة النفسي ١٠، وأسس علم اللغة ٤٢-٤٥.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ١٢-١٨، وأسس علم اللغة ٤١.

المتكلم يُودع حديثه في أذن سامعه مناجاة، أو قد يكون بينهما مسافة تقرب أو تبعد. وعليه تترتب شدة الصَّوت وحدته ووضوحه وخفوته "فعلى قَدْر قُرب الأذن من ذلك المصدر يكون وضوح الصوت وشدته، كما تتوقف شدة الصوت على سعة الاهتزاز، وهي المسافة المحصورة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز وهو في حالة السكون، وأقصى نقطة يصل إليها الجسم في هذا الاهتزاز، فعلى قدر اتساع هذه المسافة يكون علو الصوت ووضوحه، ويساعد على شدة الصوت أو علوه اتصال مصدره بأجسام رنانة[1].

وهذه المرحلة هي بداية انتقال الدور من المتكلم إلى المتلقي، وهي المرحلة الوسيطة بينهما، إذ يمكن أن نعتبر المرحلة الأولى والثانية خاصة بالمتكلم، والمرحلة الرابعة الخامسة خاصة بالمتلقي، والمرحلة الثالثة استلام وتسليم بينهما.

والذبذبات التي يحملها الهواء حتى تصل إلى أذان السامعين تُعرف باسم الصوت.

ولذلك نلاحظ أننا ندرك أثر الصوت قبل إدراك كنهه[2].

و"أثبتت الدراسات الصوتية أن الذبذبات الصوتية تنتقل إلى أذن الإنْسان عن طريق الأجسام السائلة والصلبة. إلاّ أن الهواء هو الوسيلة الناقلة التي تحمل الصوت من مصدره على شكل

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ٦، ودراسة الصوت اللغوي ١٩-٤٤، وأشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، عدد ٥، ص٢٤٥.
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية ٧، ودراسات في أصوات اللغة العربية٩.

موجات صوتية حتى تصل إلى آذان السامعين وذلك بسرعة قدرت بحوالي ٣٣٢ متراً في الثانية"[١].

وكان علماء الطيران يطمحون أن يصلوا بسرعة طائراتهم إلى مثل سرعة الصوت حتى تمكنوا من هذا أخيراً.

ويتوقف ارتفاع الصوت عند السامع على قوة الاهتزازات من مصدرها، وقرب السامع مع مصدر الصوت أيضاً، ونشاط الهواء الذي ينقل هذه الذبذبات في اتجاه واحد، وتهيؤ أذن السامع وذهنه لاستقبال هذه الذبذبات والاهتمام بها[٢].

"وهذا قسم فيزيقي يتعلق بنقل الخبر (القوانين السمعية. الإرساليات، عمليات النطق والسمع وهو قسم فيزيو – بسيللوجي لإخراج الأصوات) الذبذبات الصوتية"[٣].

"ويرسل الصوت على شكل تموجات هوائية فتصل إلى السمع فتحدث فيه أمراً يجعل الأفراد يردون عبر جهازهم الصوتي"[٤].

فيزيائية الصوت[٥]:

وعلم الأصوات الفيزيائي هو المختص بدراسة هذه المرحلة التي يقطعها الصوت اللغوي.

وهذه المرحلة تبدأ من خروج الذبذبات من الفم إلى وصوله للأذن والمعروف بعلم (الأصوات الفيزيائي)، ويتعلق بتقنية

---

(١) الأصوات اللغوية ٩، وينظر: الأصوات اللغوية ٦، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي١٠٧.
(٢) ينظر: دراسات في أصوات اللغة العربية ٩.
(٣) البنيوية في اللسانيات ١٩١.
(٤) البنيوية في اللسانيات ٢٥.
(٥) ينظر: محاضرات في علم النفس اللغوي ١٠١-١٢١.

الصوت، وانتقاله والتحكم فيه. وبقية الجوانب الأخرى المعروفة في هذا الفرع الصوتي.

"ويقاس التردد الموجي بعدد الذبذبات لكل ثانية، ويستخدم النظام العالمي للوحدات وحدة الهيرتز لقياس التردد، ويرجع الفضل إلى عالم الفيزياء هيرتز Hertz والذي كانت أبحاثه خاصة بدراسة الأمواج الكهروماغنطيسية.

والهيرتز عبارة عن ذبذبة /ثانية (١ هيرتز = ١ ذ/ث).

وتستخدم وحدات أكبر في قياس التردد من بينها الكيلوهيرتز والميجاهيرتز.

الكيلو هيرتز = ١,٠٠٠ هيرتز = $١٠^{٣}$ هيرتز.

الميجاهيرتز = ١,٠٠٠,٠٠٠ هيرتز = $١٠^{٦}$ هيرتز"(١).

وأحد أبرز جوانب فيزيائية الصوت هي انتقاله.

"فالصوت عبارة عن ظاهرة موجبة، وتقوم أمواج الصوت بنقل الطاقة من مصدر الصوت خلال الأوساط المادية إلى الأذن. وهناك ما يسمى الصدى Echo وهو تكرار الصوت الأصلي الذي يحدث نتيجة لانعكاس الأمواج الصوتية، ويسمع بوضوح بعد زوال التأثير الذي يحدثه الصوت الأصلي على الأذن"(٢).

"والإحساس بالصوت في الأذن البشرية يستمر لمدة ١/١٠

---

(١) علم اللغة النفسي، ٤٦ – ٤٧، ودراسة الصوت اللغوي ٢٣ – ٢٥. وينظر: علم اللغة للدكتور علي الوافي ٦-٧.

(٢) علم اللغة النفسي، ٤٧. وقد ذكر الدكتور عبد القادر الحديدي في بحث له في أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات ص ٣٤٣ – ٣٥٨، أن المصطلح الصوتي نقله الغرب عنا عن طريق سيبويه والزمخشري وابن جني ثم أعادوا تصديره إلينا.

ثانية بعد وصول الصوت إلى طبلة الأذن، فإذا وصل الصوت المنعكس إلى الأذن قبل مضى ١٠/١ ثانية على وصول الصوت الأصلي إليها، يمتزج الصوتان معاً ولا تستطيع الأذن أن تميز بينهما. أما إذا وصلت الأمواج الصوتية Sound Waves المنعكسة إلى الأذن بعد مضى ١٠/١ ثانية على وصول الصوت الأصلي إليها، فإن تأثير الصوت الأصلي يكون قد زال من الأذن، ويسمع الصوت المنعكس منفصلاً عن الصوت الأصلي"[١].

وفي هذه المرحلة وبعد خروج الصوت اللغوي من فم المتكلم إلى الأثير يتم التحكم فيه، وتقنينه وتشكيله، وإعادة تشكيله وإضافة المؤثرات الصوتية عليه بتفخيمه وترقيقه. وكل ذلك عبر أجهزة الصوتيات بدءً من المايكرفون الذي يزيد مداه إلى الأجهزة السمعية المتطورة التي تترجم الكلام الخارج من فم المتكلم بلغته إلى مختلف لغات السامعين والمتلقين في أروقة الاجتماعات، كالأمم المتحدة ومجلس الأمن والمؤتمرات الدولية العالمية.

وما بين هاتين المرحلتين تدخل التقنية الهائلة في تشكيل، وإعادة تشكيل ودمج الأصوات، وغير ذلك من المؤثرات الصوتية. نظراً لأنَّ انعتاقه من فم المتكلم وانتشاره في الهواء يتيح فرصة مثالية للتأثير على هذا الصوت وتسجيله وتوثيقه، وإعادة تركيبه مع غيره من الأصوات ودمجه فيها، حتى يخرج خلقاً جديد يبعد أو يقرب من صورته الأصلية بحسب درجة التأثير فيه.

---

(١) علم اللغة النفسي، ٤٧. وينظر: دروس في الألسنية العامة ٥١-٥٦، ودراسة الصوت اللغوي ٢٩-٣٥، ومحاضرات في علم النفس اللغوي ١١١، ١٢١.

المبحث الرابع
المرحلة الرابعة وطبيعتها اللغوية الصوتية الدلالية
(تلقى الأذن للرمز اللغوي)

تبدأ من بداية وصول الصوت اللغوي إلى صفحة الأذن، وملامسته لطبلة الأذن، والشعيرات العصبية السمعية وبداية الانطباع الصوتي (الصورة الصوتية) في الأذن، وتتكون من صوت يحمل فكرة ليكون فونيما فيسيولوجيا، يصعب بيان كنهه. إذ يدخل في حدود الإعجاز الرباني في خلق الإنسان. ولكن لنفترض أن الصوت شيء بسيط. فهل هو اللسان؟ الجواب لا، فهو وسيلة الفكر ليس إلاّ. لا يكون له وجود في حد ذاته، أو وحده بعيد عن الفكر، وهنا تظهر لنا علاقة جديدة صعبة، فالصوت وهو وحدة مركبة من نطق وسمع يرتبط بفكرة ليكوّن وحده فسيولوجية سايكولوجية (وظيفة نفسية مركبة). ومع كل هذا فالصورة لم تكتمل بعد، فاللسان له جانبان فردي واجتماعي لا يمكن تصور أحدهما بغير الآخر[1].

والوعي بمضمون الرمز الصوتي يتطلب استعدادا خاصاً معيناً حدَّده ونظمه وبينه الذي خلق السمع والكلام ووهبه للإنسان، قال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3].

وقال تعالى موجهاً للاستفادة المثلى من سماع القرآن وما

(١) ينظر: علم اللغة العام لدى سوسير ٢٦.
(٢) آية ١٢ من سورة الحاقة.
(٣) آية ٣٧ من سورة ق.

هي الآلية الأمثل لذلك: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١).

وفي المقابل قال مقرعاً من لا يستخدم أعضاء السمع لديه بالطريقة الصحيحة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾(٢).

ولا يخفى أهمية الوسائل السمعية في تحسين الأداء اللغوي كما يقول ابن خلدون: السمع أبو الملكات. والصوت هنا في الدائرة الكلامية هو اللغة الآنية والذي يحمل عنصري اللغة المنطوقة -لا المكتوبة- الأفكار والأصوات.

فالخط وسيلة ناقصة للتعبير عن الصورة السمعية الحية. فوجوب تأسيس القواعد عن المنطوق لا على المكتوب(٣).

وهذه المرحلة -مرحلة تلقي الأذن للصوت- قصيرة جدا. وهي وسيلة ووسيط للفهم والإدراك، ومناولة الرمز اللغوي للعقل. فهي تمتزج مع المرحلة الخامسة، امتزاجاً عميقاً؛ بحيث لم يفصل بعض الباحثين بينهما. وهي وسيلة توصيل فقط. حيث تستقبل الأذن ثم ترسل للدماغ والأعصاب عبر الشعيرات والأعصاب السمعية، ونستطيع أن نحددها بأن أولها يبدأ من لحظة مصافحة الصوت للأذن، وأن نهايتها عندما يبدأ الدماغ في

(١) آية ٢٠٤ من سورة الأعراف.
(٢) آية ١٦ من سورة محمد.
(٣) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة ٢٣-٤١، وعلم اللغة العام لدو سوسير ١٧٢، وفصول في فقه اللغة ٤١١، ودلالة الألفاظ ١٩٤.

تحليل الرمز اللغوي، بعد أن تفرز الأذن الاتجاه الدلالي الجُملي الأولي الأساسي، تاركة اكتمال الدلالة وتمامها واستقرارها للمرحلة الخامسة، ولا ننسى دائماً أن الفصل اعتباري وأن السرعة هنا هائلة في الدائرة الكلامية برمتها حتى قد لا تتجاوز الخطوات الخمس ثانية أو نحوها.

ويتضح ذلك من خلال الكلام الذي لا يحمل معنى، أو مجرد أصوات لغوية خلواً من الدلالة، أو بلغة أجنبية أو أصوات غريبة، حيث يبدأ الإنسان في التركيز، وربما وضع يده على صفحة أذنه استجماعاً للصوت، أو طلباً للإيضاح من المرسل. وكل ذلك لأن الأذن لم تستطع القيام بدورها في هذ المرحلة وهو الفرز الدلالي الأولي والأساسي حتى يبدأ عمل المخ والعقل.

ويمكن أن نستوضح العلاقة بين المرحلة الرابعة والخامسة في حالات مُعَينة، مثل تَقطُّع الصوت أو خفوته، أو ارتفاعه جداً أو مصاحبته لأصوات أخرى غير لغوية، أو اشتباه في كنهه الدلالي هل هو إنكار أو تقرير، أو استغاثة أو تظلم مع البكاء والنهيج، والهستريا ومظاهرها ضاحكة أو باكية. ففي كل تلك الأحوال وما شاكلها يستعيد المتلقي إنتاج الصوت من المرسل ويطلب إرساله مجدداً حتى يتضح كنهه الدلالي؛ لأن الأذن لم تستوعبه، ولم تستطع فرزه دلالياً للمخ. إذاً الأذن فرَّازه تفرز الأصوات دلالياً في حُزم معينة ليبدأ المخ التهيئ في التعامل مع المفروز اعتماداً على فرز الأذن. ويمكن أن نصنف دور المرحلة الرابعة "بالفرز اللغوي في حزم عامة"، إضافة إلى الدلالة الأساسية فيها، والسامع يقع في ذهنه في هذه المرحلة صورة سمعية للكلمة هي أقرب إلى البصمة النفسية. وعامة المواقف

الكلامية تكون البصمة النفسية متوقعة بين الطرفين سوى الحالات التي يتفاجأ فيها المتلقى بكلام لم يتوقع سماعه نفسياً، ويعبر عن هذا بقوله: فاجأتني، صدَمتني بكلامك. لم أتوقع منك هذا الكلام.

وهذا ما بحثه رومان جاكبسون.

ففي عملية التواصل العادية فإن الأشخاص يحصرون مجال حديثهم في مناسبة معينة، بحيث تتجمع المظاهر السوسيوثقافية (السن الجنس المركز الاجتماعي...إلخ وكل ذلك يفرض اختيارات متعددة، طريقة التكلم تركيب الجمل... إلخ، وكذا موقفه من مخاطبة: أمر تحذير، تهديد، إخبار، ومجال الحديث الدائر. ومكانه وزمانه، وفترته من ليل أو نهار، وكل المعطيات التي يعرفها ويحسها المستقبل[1].

"والإشارة اللغوية لا تجمع بين شيء وبين اسم، وإنما تجمع بين مفهوم وبين صورة سمعية، وليست الصورة السَّمعية الصوت المادي الصرْف وإنما هي بصمة نفسانية لهذا الصوت... إن الطابع النفساني لصورنا السمعية يظهر بوضوح عندما نبحث في لغتنا فنحن نستطيع أن نتكلم مع ذاتنا، وأن نستظهر قصيدة شعر من دون أن نحرك الشفتين واللسان"[2].

والصورة السمعية الذهنية Image acoustigue سمعي ذهني Acoustigue

ظاهرة سيكيولوجية تقع داخل دماغ الإنسان الفرد تكون عبارة عن تأطير للتصور الذي يملكه الفرد عن الواقع الخارجي؛

(١) ينظر: البنيوية في اللسانيات ١٩٨، ١٩٩.
(٢) الألسنية علم اللغة الحديث ٢٣٨، وينظر: ٢٣٧، ٢٤١، ٢٧٥.

أي عناصر الطبيعة وتتحول هذه الصورة السمعية في نهاية التحليل إلى الشكل، أو قل الدال في حين أن التصور يصبح هو المدلول[1].

والصورة (سمعية ذهنية Image acoustigue).

مصطلح استعمله د. سوسير لشرح آلية اللغة التي تقوم حسب رأيه على شيئين التصور Concept وهذه الصورة التي نتحدث عنها وهي تنطبع بتجربة الشخص مع عناصر الواقع الطبيعي متفاعلة مع التصور الذي يتحول إلى المفهوم، وتكون هذه الصورة هي الشكل الذي تصب فيه هذه التصورات :

تصور = مدلول Signific

صورة = دال Signifient[2]

والسرعة التي تتم بها هذه العملية هائلة تدل على الإعجاز الرباني في خلق الإنسان وتصويره، بحيث يتم في أجزاء الثانية من حين صدور الصوت تصل الدلالة في ذهن المتلقي، مما يعد معه تفصيل هذه العملية، ومحاولة استكناه خطواتها وحقيقتها ضرب من السذاجة، وإن كان اللغويون قد بذلوا جهوداً مضنية حول استكناه هذا الأمر، ولكنهم لا زالوا في حيرة من تشخيص هذا الأمر الرباني. وستبقى أجزاء كثيرة من هذه المعجزة خفية عصية على التشخيص ولكن هذا لا يعني انسداد أفق البحث العلمي فيها.

ويذكر د. عبد المجيد منصور أن الأذن هي أهم مستقبل

(١) ينظر: البنيوية في اللسانيات ٣٥٤.
(٢) ينظر: البنيوية في اللسانيات ٣٨٨.

للصوت؟!. فهل ثَمَّةَ مُستَقبِلٌ آخر للصوت غير الأذن!؟ يقول:

"وتعتبر أذن الإنسان أهم مستقبل للصوت وأعمها جميعاً، فهي لها مدى واسع من الذبذبات والحساسية، ويمكن أن تميز الأذن بين النغمات الموسيقية التي تختلف الذبذبات بينها بأقل من ١%، وعلاوة على ذلك فإن لها القدرة على تحليل بعض الأصوات إلى مركبات نغمات الأصوات، كما يمكنها أن تركز على كل نغمة على حدة. ولقد كانت عملية السمع مجالاً للمناقشة مدة طويلة في كثير من فروع العلم، ومع أن أكثر العلماء اتفقوا على التركيب العام والحركات والميكانيكية في أذن الإنسان، إلا أنه لا يزال هناك بعض الجدل حول وظيفة أجزاء معينة منها"(١).

وسيستمر هذا الجدل إلى ما لا نهاية فلا مطمع أنْ يغدو هذا الجزء من علم الأصوات والدِّلالة علماً تجريدياً؛ لأن له جوانب أخرى يتشابك فيها اللغوي مع غيره من مثل الاجتماعي والنفسي، والعضوي. إضافة إلى أن الجزء اللغوي فيه هو دراسة اللغة حية في نطق اللاهج بها، والمتلقي مما يجعل جوانب الفكر الإنساني هي المسيطرة لا الجانب اللغوي التقعيدي والقواعد المعيارية، ولكن على علماء اللغة وأصولها وخصوصاً مجال الدلالة، وفقه اللغة وعلمها العام أن يستفيدوا من بحوث علم الاجتماع، وعلم النفس والمنطق والفلسفة، وأن تتلاقى جهودهم مع هذه العلوم في منهج لغوي يركز على دراسة اللغة حية من خلال نطق الإنسان بها.

و"تركيب الأذن يؤكد على عمل الأذن كجهاز استقبال ونقل

(١) علم اللغة النَّفسي، ٥٨. وينظر: الأصوات اللغوية ١١ – ١٥.

للموجات السمعية، ولكل جزء من أجزاء الأذن الخارجية والوسطى والداخلية وظيفة خاصة تتعلق بالسمع، ونقل هذه الموجات إلى الأعصاب حيث تتحول الموجات إلى طاقة كهروكيميائية تنقل إلى الدماغ والمخ، حيث تفسر الموجات إلى أصوات وإلى معانٍ ومفاهيم تساعد الناس على التفاهم والتخاطب"(١).

وتتركب الأذن من الأجزاء التالية:

١- الأذن الخارجية:

وتتكون من صيوان الأذن الذي يظهر على جانب الوجه، وتؤدي فتحة الأذن الخارجية إلى قناة تنتهي بغشاء يسمى طبلة الأذن، وتوجد في قناة الأذن الخارجية غدد خاصة تفرز مادة صفراء تسمى الصماخ، وهي تساعد في منع الأتربة والأجسام الغريبة. كما توجد بعض الشعيرات في مدخل قناة الأذن، وإذا زاد إفراز الصماخ فقد يسد الأذن، ويؤدي إلى ضعف السمع. ووظيفة الأذن الخارجية هي تجميع الموجات الصوتية والاهتزازات التي تحدث في الهواء، وتوصيلها إلى طبلة الأذن"(٢).

"٢- الأذن المتوسطة:

وتتركب من ثلاثة عظام صغيرة؛ وهي العظيمات السمعية، وتبدأ بالمطرقة وهي ترتكز على السطح الداخلي للطبلة، وتتصل

---

(١) علم اللغة النفسي، ٥٨، وينظر: علم اللغة العام ١١-١٣، ودراسة الصوت اللغوي ٤٥.

(٢) علم اللغة النفسي، ٥٨، ٥٩، وينظر: علم اللغة العام لدو سوسر ٨٩، ودراسة الصوت اللغوي ٤٦.

المطرقة بالسندان الذي يتصل بالركاب.. ووظيفة العظيمات السمعية هي تكبير الموجات الصوتية الخارجية، ونجد أن هذه الموجات الصوتية تؤدي إلى اهتزاز الطبلة وتهتز تبعاً لذلك العظيمات السمعية، ثم تنتقل هذه الاهتزازات إلى الأذن الداخلية"(١).

٣- الأذن الداخلية (الأذن الباطنة):

وتتكون من القوقعة والقنوات الهلالية الثلاث، أما القوقعة فهي قناة عظمية ملتفة تحتوى على غشاء حساس وسائل، وتوجد في القوقعة بالإضافة إلى ذلك فتحة صغيرة يغطيها غشاء يرتكز عليه الركاب، وعندما يهتز الركاب يؤدي ذلك إلى اهتزاز الغشاء الحساس الموجود وسط السائل في القوقعة وعلى طول هذا الغشاء يوجد حوالي ٣٠,٠٠٠ من نهايات الأعصاب، أي ١٠٠٠ عصب في كل ملليمتر طولي وهذه الأعصاب تمر خلال العظام القوقعية ثم قناة عصب القوقعة، وبذلك يحدث تنبيه لأعصاب السمع فترسل إشارات عصبية إلى مركز السمع الموجود في المخ، ويسمع الإنسان الأصوات"(٢).

"وتَعَرُّف العقل على الأصوات الكلامية وتفسيرها ما زال بعيداً عن منال الفحص العملي؛ لأن الفحص المباشر للعقل معوق بانفراد الإنسان بخاصة الكلام، فما دامت الحيوانات لا تتكلم فإن التجارب على عقولها لا تعطينا شيئاً، والفحص المباشر للعقل البشري محكوم بقيم أخلاقية (بمعنى لا يمكن تشريح عقل إنسان

(١) علم اللغة النَّفسي، ٥٩، ودراسة الصوت اللغوي ٤٧.
(٢) علم اللغة النَّفسي، ٥٩، ينظر: الأصوات اللغوية ١٢-١٤، ودراسة في أصوات العربية ٣٦.

والعبث به)؛ ولهذا فإن معلوماتنا في هذا الموضوع ما تزال تخمينية حتى الآن"[١].

وحساسية الأذن للأصوات ذات التردد العالي أكثر منها للأصوات ذات التردد المنخفض ... ويمكن للأذن أن تميز نوع الصوت Quality of sound[٢].

والصوت ينتقل من الأذن إلى المخ فيترجم هناك ويفسر، فالسمع هو الحاسة الطبيعية التي لابد منها لفهم تلك الأصوات، والأصل في الفهم والإفهام أن يكون عن طريق تلك الوسيلة الطبيعية التي هي عماد كل نمو عقلي، وأساس كل ثقافة ذهنية. تلك الوسيلة الطبيعية التي وصفها ابن خلدون "السمع أبو الملكات". ولا نريد أن نستطرد في هذه المرحلة الرابعة، التي تتضمن السمع العملية السمعية، الأذن، أجزاء الأذن، الخارجية، والوسطى، والداخلية، وأجزاء الأجزاء من الصيوان، والصماخ، والطبلة، والمطرقة، السندان، الركاب، القوقعة، الأعصاب السمعية، العملية السمعية، مهارات الاستماع. معوقات الاستماع، مزايا الإدراك عن طريق السمع. فهذا مجاله أبحاث وميادين أخرى غير هذه الدائرة الكلامية المحدّدة[٣].

إنَّ السمع وجهازه الذي هو الأذن هو الجهة التي يتجه لها الصوت وتتلقاه وتستقبله، وتمرره إلى الدماغ والعقل ليقوم

(١) دراسة الصوت اللغوي ٤٨، وفصول في فقه العربية ٢٢٧، ٤١١، ٤١٢.
(٢) ينظر: علم اللغة النفسي ٤٨.
(٣) ينظر: علم اللغة العام ٨٩، والبنيوية في اللسانيات ٢٥٤، ٣٨٨، والعربية وعلم اللغة البنيوي ١٣٥.

بتفكيك رموزه وتحويل إشاراته إلى دلالات ومعاني. والسمع في المرتبة الأولى من الحواس الخمس رغم الشائع عن نعمة الأبصار. وفي الذكر الحكيم آيات كثيرة لسبق السمع على البصر "﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[1].

ويقول عنه ابن خلدون: السمع أبو الملكات، ويقول: اللسان ابن الأذن، وهو الوسيلة الأولى في التعليم والاكتساب اللغوي، والوسيلة الأرقى في نقل الحضارة والمهارات، وهو أهم وسيلة للاتصال بين البشر وتعمل الأذن كجهاز طبيعي لاستقبال الموجات السمعية[2].

ويتساءل د. الجندي لماذا دخلت الأذن في جهاز النطق مع أنها ليست مسؤول عن إنتاج الأصوات؟ "السر في ذكر الأذن - وهي عضو السمع الوحيد- لأنها الجزء الثاني من أجهزة الإرسال والاستقبال، حيث إنَّ أعضاء النطق هي أجهزة الإرسال ولولا الأذن كجهاز استقبال، والمخ كجهاز ترجمة وإدراك لما كان لأجهزة النطق وحدها أدنى فائدة[3].

ومهم جداً أن الأذن جهاز استقبال، والمخ جهاز ترجمة وإدراك؛ لأن في هذا فصلاً دقيقاً بين المرحلتين الرابعة والخامسة.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٢) ينظر: المقدمة ١٠٥٦، ١٠٥٧، وعلم اللغة النفسي ٥٨، وأشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات ٩٢-٩٦، ودروس في السيميائيات ١٦، ٥١.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ١٥، والبنيوية واللسانيات ١٩٠، ١٩٥، والعربية وعلم اللغة البنيوي ١٣٥، ونقض أوهام الجدلية المادية ١٣٦-١٤٦.

والمستقبل يدرك شيئاً من دلالة ما استقبله ولو ومضه بسيطة عارضة.

وهذا القسم بسيكولوجي صرف وهو يتعلق بالربط بين التَّصور le concept والصورة السمعية الذهنية النفسية Image a caousti gue.

وفي هذا القسم بالضبط يكمن موضوع الدراسة اللسانية[1].

(١) ينظر: البنيوية في اللسانيات ١٩١، ومدخل إلى اللغة ٥٧-٦٦.

المبحث الخامس
المرحلة الخامسة وطبيعتها اللغوية الدلالية والفكرية تحليل الرمز اللغوي عن طريق المخ ومخالطة دلالته للوجدان والشعور

وتبدأ هذه المرحلة من بدء انتقال تحول الرمز اللغوي الصوتي إلى وعي دلالي وتكامُل هذا الوعي، واستقرار المعنى وكماله، وبدء ظهور الانفعال الحاصل تبعاً للإدراك الدلالي الكامل. سواء أكان ذلك الانفعال لغوياً يظهر في دائرة كلامية أخرى، أم سلوكياً جسدياً أو غيره.

وتبرز مبادئ أساسية لا مناص منها في تحليل الخطاب وهي؛ اعتبار المخاطب وأغراض خطابه وظروف إنتاجه، وهويه المخاطب ووضوح خطابه، وكيفية إبراز الغرض" أو الموضوع في الخطاب، وكيفية الوقوف على أغراض أخرى معينة، وظروف فهم السامع وتأويله، ودخل هذه الظروف في علاقة الخطاب باللغة، وكيفية انعكاس العناصر اللالغوية في التنظيم اللساني لعناصر الخطاب[1].

ولاشك أن الركام الثقافي والنفسي والمعرفي، والبيئي الاجتماعي، والتشكل الوجداني لشخصية المتلقى وكذا شخصية المرسل، كل ذلك ونحوه مع الظروف الزمانية والمكانية، والسياق اللغوي والاجتماعي الذي صاحب وصول تلك الرسالة اللغوية، كل ذلك يشكل مساعدات أساسية في خِضَمّ تلك الدلالة

(١) ينظر: اشغال الملتقى الدولي للسانيات ٩٥، وحيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ٢٨-٥٤، ٢٣٧، ٢٤٨، وعلم اللسان ٦٣، ٦٧، واللغة والتفسير ٩، ٢٥، ٢٥٧.

المصاحبة فضلاً عن دلالتها اللغوية المباشرة. ويختلط الأمران معاً في تكوين استجابة المتلقى للرسالة، وقبل ذلك في تحليلها وكيفية فهمها وتفهمها، وليس دائماً يكون فهم المتلقى للرسالة كما أراد المرسل بل قد يتدخل أي من هذه الاعتبارات في فهم غير مراد بما يعني دلالة خاطئة، كما يمكن أن تكون الدلالة على أتمها وأكملها، خصوصاً كلما زادت الكفاية اللغوية لطرفي التواصل وحدة الحدس عندهما؛ بحيث يتوقع كل من الطرفين ماذا يريد الآخر، السامع يعرف فحوى كلام المتكلم ومراميه. والمتكلم يعرف ما يريد السامع أن يسمع، وهذا التوقع معين قوي على تحليل الخطاب وفهمه.

إذاً نحن أمام رافدين في هذه المرحلة من الدائرة الكلامية.

- الدلالة اللغوية المباشرة، ويكمن في هذا الحقل ثقافة المتلقى اللغوية، ثروته المعجمية، البيئية واللغوية، والثقافة التركيبة الأسلوبية والصياغية، وعلم الوضع، ووضع الألفاظ بإزاء معانيها (السياق اللغوي)، والدلالة التراكمية أو جملة السياقات المصاحبة والمتراكمة... إلخ.

- السياقات غير اللغوية: الشَّخصية النفسية - الذاتية - الوجدانية، وجملة الأمور الذاتية، ثم الأبعاد الاجتماعية. والمكانية والزمانية، والثقافية غير اللغوية، والصحة النفسية.

ومن هنا تكثر في الدارج الاجتماعي عند التواصل تعابير نحو:

أنت فهمت كذا... أنا لم أقصد كذا... دائماً تفهم غلط ... لا تفسر كلامي على هواك، كما يشيع أيضاً في الجهة المقابلة هذا يعرف قصدي، فلان يفهمني، كأنّه في قلبي، يقرأ أفكاري، يخطف

الكلمة من فمي.

"فإذن السامع بدورها توصل الرمز الصوتي الذي استقبلته إلى العقل الذي يعطي هذه الرموز قيمتها، ويترجم الرسالة على ضوء ما اختزن فيه سابقاً من علاقة بين الرمز الصوتي ومدلوله سواء اتفق المفهم مع ما في ذهن المتكلم أم لا"[1].

إذاً نحن أمام دلالة محدَّدة، وسياق أراده المتكلم، وعقل يعطي هذه الرموز قيمتها على ضوء ثقافته اللغوية، وركامه النفسي الاجتماعي، والفكري وحساسيته، قد تتطابق الدلالة التي يتوصل إليها محلل الرمز اللغوي مع الدلالة التي قصدها المتكلم، وقد لا تتطابق نتيجة لتدخل عناصر كثيرة جداً لغوية وغير لغوية في إعطاء هذه الرموز قيمتها الدلالية.

كيف بعد كل هذا يطالب فريق من الباحثين بفصل المرحلتين الأولى والخامسة عن الدرس اللغوي؟[2].

إذاً قول من يقول: "المرحلة الثانية [يقصد الطرف الثاني في الإرسالية اللغوية] تخص المستمع – ونقلتها إليه أذنه إلى مخه ليعيد تركيب الرسالة الصوتية التي وصلته إلى المعنى الذي تحمله، ثم يستعين في الترجمة ودور العقل بالمخزون المناسب في مخه، وأيضاً بالرموز المتفق عليها، والمناسبة للمقام والحال[3] ليس كافياً وإلا لما اختلفت الدلالات، والحقيقة أنه لابد

---

(١) علم اللغة العام ٦٩-٧٠، وينظر: الألسنية الحديثة واللغة العربية ١٧، ١٨.

(٢) ينظر: تفهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي ٦١، ١٣٢.

(٣) ينظر: علم اللغة العام ٧٢.

من مراعاة أمور كثيرة غير لغوية في تحليل الدلالة. وحتى أكثر من شروط البلاغيين وعلماء الأسلوب والصياغة. ومخطئ من يظن أن الكلام الدقيق المحدَّد يكون مدعاة للفهم وحدد، أو مراعاة قواعد اللغة، والصلة بين الألفاظ ودلالاتها كافية بمفردها، فقول من يقول:

وترجمة المخ للرسالة التي وصلته، والتصرف على مقتضاها حينما يكون الكلام مفهوماً ومفيداً[1].

قول يحصر التواصل في مواقف محددة تعليمية أو تلقينية أو نحوها بعيداً عن دائرة اللغة المتسعة باتساع مجالات الحياة.

وقول من يقول:

وتلقت الرسالة أذن السامع، وتناقلتها في أقسامها عبر الأعصاب إلى العقل فقام المخ بحل رموزها الصوتية، وترجم المعنى الذي احتوته طبقاً لقواعد اللغة في العلاقة بين الصورة والمعنى.

قول يحتاج لمراجعة، بل لابد من كل ما يؤثر في الإنسان حتى حالته النفسية والمزاجية التي قد تقلب دلالة الرمز الدقيق والمنضبط لغوياً إلى دلالة أخرى أو إلى دلالة نقيضة تماماً.

أنه لمن الأهمية القصوى أن نلاحظ أن الصورة الكلامية ليست هي الصوت نفسه، وأنها نفسانية على نفس مستوى المفهوم الذي يقترن بها[2].

وهذا التمازج هو صعوبة الدراسة هنا.

---

(١) ينظر: علم اللغة العام ٦٩-٧٠.

(٢) ينظر: الألسنية علم اللغة الحديث ٦٨، وينظر: علم اللغة العام لدوسوسير ٢٦، ٣٢، ٣٣.

وعناصر الخطاب الناتج عن الدائرة الكلامية في مجمله العام يتضمن:

مرسل – متلقى – رسالة – سياق – اتصال[1].

وكما تجب مراعاة كل ما يساعد في الوصول إلى التحليل اللغوي الناجح للإرسالية اللغوية، ينبغي النظر في تجنب عوائق الاتصال التي ينتج عنها تشابك وإشكالات يصعب ضبطها.

إن التواصل...قد يكون من باب التصور المحض لما لهذه المفارقات من أبعاد نفسية، واجتماعية تقف حيال كل تواصل طبيعي بمعنى التفاهم والتقارب[2].

ودور مؤسسات التعليم والإعلام والاعتبارات القومية، واللغات الرسمية والتواصل العالمي عبر وسائل الإعلام، وعدم السيطرة والتواصل بين الأمم وانفتاح الفضاء، كل ذلك مما يساعد أو يحول في الركام الثقافي واللغوي. والذي يظهر أثره جلياً على إنتاج الدائرة اللغوية وفهم وتحليل الخطاب.

وهناك نمط خاص في التواصل في الدائرة الكلامية وهو التصدير والإرسال، والتصدير والتلقي في آن واحد.

وذلك في الشجار والمخاصمات اللغوية، والمناظرات، والمحاججات والنقاشات والحوارات، وكذا في سائر أنواع التواصل المشترك. بحيث يكون كل طرف مرسل لغوي، ومستقبل للرمز اللغوي. وهنا يكون التحليل في الدائرة الخامسة سريعاً ومومضاً ومتسرعاً، قد يتراجع عنه الإنسان لأنه لا يكون كلاماً

(١) ينظر: دروس في السيميائيات ١٢، وينظر: ١٣-١٥.
(٢) ينظر: أشغال الملتقى الدولي للسانيات ٩٥-٩٧.

عقلانياً في مجمله، وهو غالباً ينبئ عن انفعالات نفسية، أو في مواضيع بسيطة موجزة أو مقررة سلفاً.

ويصاحب ذلك في الغالب السيمياء، وحركات الأجسام والإشارات التي تصاحب الصورة الصوتية في الاذن، صور مرئية للعين وكل ذلك يساهم في تكوين الصورة الذهنية، وهذه السيمياء المقصودة هي جز من الاستجابة الدلالية لمفهوم الرموز اللغوية الواصلة من الطرف المقابل، ومنها جزء يكون عضوياً غير مقصود، (حركات).

وكل ذلك يدخل تحت مسمى الإنساق الدلالية[1] وسيسولوجيا التواصل.

بينما نجد أن السيمياء والحركة قد تقل في التواصل بين طرفين في موقف كلامي أحدهما مرسل فحسب والآخر متلقى فحسب، أو في تخاطب هادئ في مسلمات من الأمور، أو أنس. وسمر، وقصص.

ولو أردنا أن نحدد دور السيمياء والحركة كنتيجة مصاحبة للاستجابة للدلالة في هذه المرحلة، قد نصل إلى الصراع بين دلالة اللغة في المرحلة الخامسة ودلالة السيمياء؛ فقد تتكامل اللغة والسيمياء في التعبير في اتجاه دلالي واحد. وقد تتضاد وتتنافر، وقد تكون اعتباطية، ولسنا هنا نقصر دور السيمياء على هذه المرحلة ولكنها في التواصل المزدوج تكون بارزة بشكل أساسي لتساعد على سرعة إنجاز الدلالة، ويمكن تقسيم

(١) ينظر: دروس في السيميائيات ٢٢-٢٧، والسيمياء والتأويل ٢٠. ٤٣.

نمط الحركة واللغة كما يلي:

- تظافر – تكامل.
- تضاد – تنافر. نتيجة الانفعال والحركات المضطربة.
- اعتباط، نتيجة فقر لغوي، يقابلها حصر لغوي كالتمتمة.
- حركات جسدية نفسية لا علاقة لها بالرسالة. توتر – نرفزه غضب ... ويقابلها العنف اللفظي في الرمز.

يقول أوستين Austin:"إن الخطاب كله مجال لعب يماثل اللعب الدبلوماسي، بل هو مؤسسة تسمح لكل من المتخاطبين أن يحتل بقوله مكانة معينة، يكون الاعتراف بها من قبل سامعه أساس تعاملها التواصلي، كما نلاحظ لدى الرجل الدبلوماسي تعدد الأساليب للتعبير عن نفس الحدث؛ إذ لديه مجموعة من الإفرازات تجعل لخطابه قيمة تتغير بتغير المواقف وخطورتها"(١).

والأخطر هو التدليس اللغوي وفضح السيمياء له، بأن يكون هذا المتكلم دبلوماسياً كان أم غيره لا يستطيع السيطرة على سحنات وجهه، ولا حركات يده مما يفضح دلالته الحقيقية التي يحاول أن يغطيها بدلالة لغوية عكسية تماماً فيقسم والحقيقة خلافاً ما أقسم عليه؛ وينفي والحقيقة الإثبات... ونحو ذلك.

- وفي أحيان كثيرة لا يأخذ المتلقى جميع عناصر الإرسالية بل أبرزها.

نتيجة لذلك يحدث لبس في ذهن السامع أو المستقبل للرسالة تُنقص من إدراكه مقاصد الخطاب، فيتسبب في إحداث مواقف

(١) أشغال الملتقى الدولي في اللسانيات ٩٣.

حرجة تتفاوت خطورتها في العمل التواصلي[١].

يقول كرسوال: "يتعين علينا اعتبار السياق من خصائص الخطاب والتواصل كما أن عالم الخطاب في اللغة الطبيعة يتغير دوماً بتغير السياق"[٢].

إن مثل هذه الاعتبارات أدت بالعديد من الباحثين إلى النظر في وضع منهجية تستجيب للمعايير العملية قصد تحليل الخطاب في العمل التواصلي الطبيعي من وجهة نظر لسانية اجتماعية. ولعل من اهتدى إلى وضع معالمها هو (Labow) في كتابه علم اللسانيات الاجتماعية[٣].

وهناك اقتراحات بالعودة إلى الكلام الطبيعي التلقائي باعتباره العنصر الأساسي في العملية التواصلية، وغاياتها الاجتماعية على مختلف المحتويات لتجاوز الحواجز والفوارق اللسانية[٤].

ولا ننسى هنا القصد والغرض عند الأصوليين فضلاً عن بحوث العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل. والمبهم والمبين، والفحوى والنص، وقوي الدلالة وخفي الدلالة. وطرق الدلالة على المعنى والدلالة التضمنية والالتزامية، ودلالة الفحوى، ومنهج الأصوليين ودوافعهم لتحديد المعنى ومراعاة المقاصد (الدوافع) وقرائن السياق اللغوي في تحديد المعنى. ومراعاة السياق الاجتماعي وشخصية المتكلم[٥].

---

(١) أشغال الملتقى الدولي في اللسانيات ٩٣.
(٢) السابق ٩٤.
(٣) ينظر: السابق ٩٤.
(٤) ينظر: السابق ٩٠.
(٥) ينظر: الدرس الدلالي عند الأصوليين ٩-٣٠، ٦٩-٧٤، واللغة =

والربط بين التصورات leconcopt والصورة السمعية الذهنية النفسية I, image acoustigue[1].

ونحو ذلك من أسس التحليل للرمز اللغوي التي يستخدمها عقل الإنسان مما توافق فيه الدرس الحديث مع الأصوليين.

فتحت كلمة (شخص) أي طرف متلقٍ personne تتجمع المظاهر السوسيو ثقافية (السن الجنس المركز الاجتماعي... إلخ كل ذلك بغرض اختيارات متعددة، طريقة التكلم، تركيب الجمل ... إلخ ، وكذا موقفه من مخاطبه أمر تحذير – تهديد – إخبار...".

وتحت كلمة (مناسبة) تضع المظاهر الموضوعية (مجال الحديث الدائرة).

وتحت كلمة (الظرف) تتجمع المعلومات الهامشية كالضجيج والمكان الذي توجد فيه، الفترة من النهار، وكل المعطيات التي يعرفها ويحسها المستقبل[2].

وهذه المعطيات كلها يستخدمها الفكر والعقل عند التحليل للرموز اللغوية في أثناء الكلام بصورة أو بأخرى وبنسب متفاوتة بين البشر حسب خلفياتهم العقلية والنفسية.

"وشبيه بهذا ما يحدث عند تحليل السامع لخطاب غيره إذ لا يتوقف السمع عند كل عنصر من العناصر اللسانية المكونة للخطاب لتسلسل الوحدات المعجمية، وارتباطها الزماني بعضها ببعض مما

والمعنى والسياق ١٥.

(١) ينظر: البنيوية في اللسانيات ١٩١.

(٢) ينظر: البنيوية في اللسانيات ١٩٨، ١٩٩.

يحمل مستقبل الرسالة على انتقاء أبرز هذه العناصر المكونة، فيفكك الرسالة على غير نسق تركيبها من قبل المخاطب"[١].

ويمكن النظر في مستويات التحليل اللغوي. والإرسالية اللغوية وعناصرها ووضع الدوائر والرسومات لها، وتحليل التواصل اللغوي والدلالات الإضافية والمعنى وظلال المعنى... والتصوري والمفهومي، والإدراكي، المركزي والهامش، الثانوي والعرفي والتضمني، والأسلوبي النفسي والإيحائي، والمعنى الدلالي والوجداني. وكل ذلك يمكن التوسع فيه كثمرة ونتيجة للغرض من إنتاج الكلام عبر دائرته اللغوية وخصوصاً في هذه المرحلة. غير أن الهدف هنا هو الحديث عن هذه المرحلة كمكمل للدائرة ولو إنسقنا إلى كل هذه القضايا لتوسع بنا المجال جداً إذ أنها ميدان كتب وبحوث مستقلة وحسبنا أن نشير إلى بعض المصادر في هذا المجال[٢].

ولكي يتم تحليل عملية الفهم والإفهام والعملية السمعية. ولتحصل الثمرة من الإرسالية اللغوية ينبغي أن تتظافر جملة من العلوم اللغوية والنفسية والطبية، فعملية النطق والفهم يعني بها اللغوي وعالم النفس، ويصرفان في بحثها وتحليلها جهوداً علمية[٣] لا تقل عسرا عن الجهود التي يقوم بها من سبقوهم في

(١) أشغال الملتقى الدولي في اللسانيات ٩١، وينظر: ٩٢.
(٢) ينظر: الموافقات ٩٣، الدلالة اللغوية عند العرب ٩، المدرس الدلالي في خصائص ابن جني ٤، ٥، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٧٦، والبنيوية في اللسانيات ١٩٠-١٩٩.
(٣) ينظر: مدخل إلى اللغة واللسانيات، المجلد ١٤، العدد الأول، ص ١٦٦، ١٦٧، وفقه اللغة في الكتب العربية ٧١-٧٥.

بحث العمليات التي تمهد لهذا النطق.

ويعني اللغوي عادة بالتعرف على الدور الذي تقوم به العبارة المنطوقة، أو تلك الأصوات اللغوية التي تصدر من الفم وتتلقفها الأذن.

ويستعين اللغوي الحديث بعلم وظائف الأعضاء. وعلم التشريح وعلم الطبيعة لتفسير تلك الأصوات التي تصدر من الفم، وتتلقفها الآذان، لأن الدائرة الكلامية متشابكة في ذاتها، ولذا تشابكت العلوم المساندة في تحليلها، لأن الصوت الإنساني يتميز بالتنوع والتعدد والتشابك تبعاً لتعدد الأغراض التي يعبر عنها.

فكلام الإنسان كثير التنوع متعدد الألوان، ولا تكاد تحصى أصواته أو ألفاظه، وهو يتخذ لكل منها دلالة معينة تحقق له غرضاً من أغراض الحياة، خصوصاً إذا دخلنا في التركيب والإسناد، وليس هذا مكان بسطه[1]، مع أن اللغة وجدت لتنطق مركبة لا ألفاظا مفردة، تلك الأغراض التي لا تحصى والتي لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة نفسها. ويتوسل الإنسان بكلامه إلى التفاهم بين أفراد مجتمعة، كما قد يستعين به في التأمل والتفكير.

ونختم الحديث عن هذه المرحلة بأمرين، ركّزهما الدكتور موفق الحمداني في نقاط:

---

(١) ينظر: قواعد تحويلية للغة العربية ٣١، والجملة النحوية نشأة وتطور وإعراباً ١٩-٢٢، وفي بناء الجملة العربية ٢٦-٤٢، وأشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، عدد ٥، ص ٢٤٥، والألسنية الحديثة واللغة العربية ٢٠-٢٣.

الأول: دور الذاكرة في فهم الجملة[1]:

فمن المعروف أن الذاكرة البشرية قصيرة المدى محدودة في مداها، وبما أن الإنسان يتوجب عليه، لفهم الجملة، استبقاءها في الذاكرة قصيرة المدى ريثما ينتهي من تحليلها، فإن فهمها يزداد صعوبة بزيادة طول الجملة، أو بابتعاد المسند عن المسند إليه، ونحوها من الجمل صعبة الفهم لأن السامع يضطر لأن يبقيها في ذاكرته على طولها ليحللها إلى محتوياتها ولقد درس بلومنثال Blumenthal ١٩٦٦م، وستولز Stolts ١٩٦٧م، وشلسنكر Shlesinger ١٩٦٨م، وفريدل وكراون Freidel & Crown ١٩٧٠م هذه الظاهرة ولقد تبين من هذه الدراسات أنه كلما ازدادت الجمل داخل الجملة الأصلية، ارتفع الثقل على الذاكرة قصيرة المدى مما يعرقل تحليلها إلى مكوناتها الأساسية وبالتالي فهمها.

ونستطيع القول استناداً لما ذهبنا إليه في أعلاه، أن الفرد لدى تسلمه التبليغ اللغوي يقوم بما يلي:

١- لدى سماعه التبليغ، يشخص الفعل اللغوي، كما يشخص محتوى التبليغ ومحتواه الفكري.

٢- ويبحث في الذاكرة عن معلومات تقابل المعلومات التي تسلمها.

٣- واستناداً لما يجري في (١) و(٢) يعالج المعلومات الجديدة بإحدى السبل التالية:

أ - إذا كانت الجملة جملة خبرية، فإنه يضيف المعلومات

---

(١) اللغة وعلم النفس ٢١٠ بتصرف.
وينظر: محاضرات في علم النفس اللغوي ١٣٣، ١٣٥، ٢٨١.

الجديدة إلى المعلومات السابقة.

ب- إذا كانت الجملة جملة استفهامية تحتمل الإجابة بنعم أو لا، فإنه يبحث في الذاكرة عن المعلومات المناسبة ثم يقارنها بالمعلومات المطلوبة ويقدم الإجابة المناسبة.

ج- وإذا كانت الجملة سؤالاً يتطلب معلومات فإنه يبحث عن المعلومات المطلوبة، وينظمها في جملة جوابية.

د - إذا كانت الجملة أمرا، أو ما يقترب من ذلك كالرجاء والتوسل... إلخ، فإنهم يقدمون الفعل المطلوب، أو يجيبون بعدم الامتثال أو غير ذلك.

الثاني: "عندما نخطط للكلام نأخذ بعين الاعتبار عدداً من الأمور يمكن أن نلخصها بما يلي[1]:

١- نقوم بتقدير ما يعرفه السامع عن موضوع الكلام، واستناداً لتقديراتنا هذه نستعمل الكلمات المناسبة.

٢- مبدأ التعاون، يتوقع المتكلم أن السامعين، يفترضون قيام التعاون بين السامع والمتكلم، وأن المتكلم يريد قول الصدق، بوضوح وأن ما يتكلم فيه هو الموضوع المطروح الذي يدور حوله الكلام، وأن المتكلم لا ينتقل من موضوع لآخر في نفس الجملة، دون معرفة السامع أو تعاونه.

٣- مبدأ الواقع: يتوقع المتكلم أن سامعيه يفترضون أنه يتكلم عن حوادث وحقائق، وحالات مفهومة.

٤- الموقف الاجتماعي: تقود المواقف الاجتماعية المختلفة إلى

(١) اللغة وعلم النفس ٢١١ بتصرف.
وينظر: حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ٣٠، ٢٤٠، ٢٥٠.

كلام مختلف في سياقات مختلفة، ولابد من الأخذ بعين الاعتبار هذا البعد الاجتماعي.

٥- الأدوات اللغوية المتوافرة وبدائلها؛ فهناك بعض الأشياء التي نرغب في الكلام عنها، ولا توجد الصياغات اللغوية الجاهزة للتعبير عنها.

وهناك عدد من المقتضيات الاجتماعية التي تحدد كمية الكلام. وكيفية تبادل الأدوار في الكلام وغير ذلك من الأمور، ولكن جميع هذه الأمور لا تحسم أو - تحدد ما يقال، بل تعطي للمتكلم مؤشرات فحسب. وعندما يخطط المرء لما يقول فإنه يقوم بذلك بسرعة فائقة، لذلك يصعب على الباحثين دراسة مراحل ومجريات الكلام في دائرته.

نخلص من هذا إلى أن هناك قيماً فكرية ولجتماعية، ونفسية من خلال الدائرة، وأن هذه القيم مترابطة ومتداخلة ومتشابكة لا يمكن الفصل بينها؛ لأنه من دونها تبقى اللغة مجرد صوت ورمز مجوفين من أي دلالة أو تصبح بدونهما كما وصفها الجرجاني "نَغَم". والحديث عن الارتباط بين الدائرة الكلامية ومراحل الفكر والدلالة فيها يشبه الحديث عن الإنسان وارتباط العقل والروح فيه، فكيف يمكن لنا أن نسلخ الإنسان الذات عن المعاني الشاخصة فيه. وما الإنسان بدونها إلا جَدث وجسم، وكذلك اللغة في دائرتها الكلامية عندما نحاول أن نجردها من الجوانب الذهنية والنفسية والفكرية والاجتماعية فيها لا يتبقى فيها إلا الصوت والرمز اللغوي أو كما يسميه الجرجاني مجرد النغم.

فالمعلوم أن الدلالة شيء آخر غير الرمز اللغوي. وهو شيء آخر غير الصوت الذي يحمله، فالصوت يحمل الرمز،

والرمز يحمل دلالة وتصور ذهني يثيره هذا الرمز عندما يصل إلى الذهن بفضل المواضعة اللغوية، والاصطلاح العرفي الناتج عن البيئة اللغوية.

إذن لا انفكاك بين اللغة والفكر، والنفس والشعور كما لا انفكاك للإنسان عن بيئته اللغوية ومحيطه الاجتماعي. كيف وهو إنما يستخدم اللغة في معظمها الأعم لكي يتحاور ويتعاون مع بقية أفراد المجتمع كما قرر ابن جني ذلك.

وكيف لا يرتبط الفكر باللغة في دائرتها الكلامية والفكر إنما يبين ويُعرف عن طريق اللغة فهي التي تُبْديه وتُظهره وأنت لا تعرف مقدار قيمة الإنسان إلا من كلامه.

كما أن اللُّغة هي التي تنمي الفكر وتزيده، وتثقفه وتحرره، فعن طريق اللغة والسماع والتلقي والتمعن تزداد مدارك الفكر الإنساني وطريق ذلك هو اللغة، فانظر إلى هذه العلاقة المزدوجة ما أعجبها.

إذاً فصل الإنسان عن اللغة فصل غير وارد فهو يُعرَّف بأنه إنسان "عاقل ناطق"، "يفهم ويفكر"، فأبرز صفتين للإنسان يباين فيهما بقية المخلوقات هما العقل الذي يفكر به، (ولهذا أصبح مكلفاً) واللغة المنطوقة التي يعبر بها عن نفسه وبقية ما بقي منه لحم ودم، وقد علمنا شدة الارتباط بين اللغة والعقل والفكر فانظر وتأمل.

والإنسان نفس ووجدان، وشعور وعاطفة وعقل، وبُعْد اجتماعي فهل هناك ارتباط متمازج أكثر من هذا.

وهذا ما تناوله العلماء القدامى كابن جني، والجرجاني، وابن خلدون والجاحظ، وغيرهم.

ثم ملحظ آخر وهو أن الناتج اللغوي للفرد صورة عن ركامه المعرفي والنفسي، والعقلي، وهذا الركام نتاج لمناخ نفسية، واجتماعية وحياتية فالصورة اللفظية انعكاس لصورة ذهنية تؤدي إلى مدرك عقلي، وما هذا البحث إلاَّ محاولة ليس لإثبات هذا البدهية، ولكن محاولة تشخيصها ما أمكن، حتى تبرز في الذهن إلى حدٍّ ما، هذا من جهة. ومن جهة أخرى محاولة النظر في الفوارق بين نوعية الارتباطات في مراحل وخطوات الدائرة الكلامية المختلفة، وبيان القواسم المشتركة والفوارق بين هذه المراحل، وتلمس ذلك. وإن كان ذلك من الخفاء بمكان عجيب، فلا نستطيع أن نجزم بغلبة العاطفي والوجداني والشعوري على العقلي والذهني والفكري في المرحلة الأولى. أو عكس ذلك في المرحلة الخامسة، أو التفريق بين تشابك الارتباطات في المرحلتين الرابعة والخامسة لهذه الاعتبارات والتي منها الفوارق الفردية بين المتكلمين، وأهم من ذلك الفوارق بين المقامات الكلامية، والسياقات المختلفة والتي لا تكاد تحصى حسب ظروف ومقاصد الخطاب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من اصطفاه ربه فنَزل القرآن على قلبه، وبعد.

إن البحث في الدائرة الكلامية في الموقف الكلامي الآني يعطي نموذجاً مصغراً، ولكنه شامل متكامل لكيفية البحث في اللغة بمجملها حيث تتجلى شمولية اللغة، واستيعابها لما تبينْ به إنسانية الإنسان وآدميته؛ وهي العقل والفكر، والنفس والوجدان والشعور، والتروِّي والتمعن، والاستنباط والاستنتاج، والتحليل والتركيب، وإعادة التركيب بعد التحليل اللغوي، والوعي والإحاطة، ولهذا كُلِّف الإنسان وأصبح ملكفاً.

وعندما ننظر في الأمور سابقة الذكر نجد أنها تدور كلها في الدائرة الكلامية، وتشتمل عليها. وذلك يتجلى في سر صغير وهو أن الإنسان يتواصل عبر اللغة لا بمجملها المكتوب، والمسجل والموثق والمضمن بطون الكتب والدواوين، فهذا ركام معرفي وحضاري ولغوي، واجتماعي ونفسي إنساني شامل لكل أمة بحسبها وللإنسانية بمجملها بمجموع أممها.

ولكن تتجلى تلك الخصائص البشرية في الدائرة الكلامية في الموقف الكلامي الآني بصورة أوضح وأعمق وأقرب، حيث يشكل الخاطر والباعث والمحرض الوجداني الشعوري على التفكير في الكلام بعد إلحاح الحاجة النفسية عليه. وترتيبه وتحضيره وتنسيقه ومناجاة النفس به، ومراجعته فكرياً وعقلياً ونفسياً، وكل هذا قبل إنتاجه نُطْقاً، وهو ما يمثل المرحلة الأولى من مراحل الدائرة اللغوية.

وهذه الدائرة بإنتاجها للصوت، والرمز اللغوي يراد بها القيام بهذه الحاجات النفسية، والضرورات الحياتية، والبعد الاجتماعي، لينتقل من شخص إلى آخر ومن مرسل إلى متلقٍ، فردياً كان الخطاب أو جماعياً، حيث تشكل اللغة مبدأ السفارة بين الأطراف الاجتماعية، وتصبح أداةً فعالة لنقل الأغراض والحاجات النفسية كما وصفها ابن جني: "اللُّغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وكما عرفها ابن خلدون: بأنها "فعل لساني مقصود بحسب كل أمة". وتتابع على ذلك العلماء، وكل هذا الاستعداد والتحفز لإنتاج الرمز اللغوي في مجمله -إذا استثنينا الكلام النفسي والمناجاة- يكون النظر فيه إلى المتلقي والمستقبل في المرحلة الخامسة من الدائرة اللغوية الكلامية. وهي المرحلة النهائية، ويكون القصد والغرض من التواصل عبر الدائرة هو: كيف يمكن أن يقوم الرمز اللغوي بنقل الإحساس والشعور، والغرض والقصد كما هو قائم تماماً في نفس المتكلم الواقع تحت إلحاح الاحتياج اللغوي إلى ذهن وفكر، ووجدان المتلقي المستهدف بالرسالة اللغوية.

وكلما كان إعداد المُرْسل لرسالته عبر الدائرة الكلامية مُتقنا، ومعملاً فيه الفكر والروية، كما يقول الجرجاني كلما كان وصوله إلى وجدان، وفكر المتلقي أكمل وأسرع وأحسن، كما هو في ذهن المتكلم تماماً. مما يسمى تواصلاً ناجحاً أو ماهراً، أو تحققت فيه الكفاية اللغوية مع الأداء الكلامي، وامتلك المرسل اللغة وقوة التأثير بها؛ لأنه يستطيع استغلال القدرات اللغوية الكامنة فيها.

وما بين هاتين المرحلتين الدلالتين الفكريتين الوجدانيتين؛

الأولى العائدة إلى المتكلم، والخامسة العائدة إلى المتلقي يتبقى ثلاث مراحل أخرى في الدائرة الكلامية.

الثانية وهي إنتاج الصوت اللغوي، وهي مثل الأولى عائدة إلى المتكلم وليس فيها نواح دلالية، وكل ما فيها هو إنتاج الصوت عبر جهاز النطق، وقد أشبعها علماء الأصوات وصفاً وتوصيفاً، حيث يزعمون أنها من أوضح أنواع علم الأصوات. وإن كان لابد من الإقرار بذلك، فأن الواضح الجلي فيها هو تعليل حدوث الصوت، وخروج الرمز اللغوي إذا حدث. أما حدوثه في نفسه والدافع له فهذا خفي؛ بدليل عدم حدوث الصوت، وخروج الرمز اللغوي مع توفر أسبابه كما في بعض الحالات الخاصة أو المرَضية، وهذا ما تناولته في بحث بعنوان: "ندرة الدراسات اللغوية في علم الأصوات السمعي".

أما المرحلة الرابعة فهي مثل المرحلة الخامسة عائدة إلى المتلقي؛ وهي تلقُّف الأذن للصوت القادم عبر الأثير وتموجات الهواء، ومصافحته لصفحة الأذن بأجزائها الثلاث، وصماخها، وصيوانها، وقنواتها السمعية، وأعصابها السمعية والشعيرات العصبية فيها، ونحو ذلك، وهي مرحلة استقبال وتمرير الرمز بدلالاته وإيحاءاته إلى المخ ليحلله ويفكك دلالته، وفي هذه المرحلة الإدراك الدلالي انطباعي أولي، ومهمتها الدلالية هي تصنيف دلالات الرموز في حُزَم أشبه ما تكون بعناوين للموضوعات، أو تصنيف للرسائل بعد فرزها بحسب نمط الكلام إخبار، طلب، إنشاء سؤال، إنكار، عداوة، ونحو ذلك.

بقي المرحلة الثالثة الفيزيائية الصوتية، وهي وسيط بين مرحلتي المتكلم الأولى والثانية، ومرحلتي المتلقي الرابعة

والخامسة، وهي تبدأ من فم السامع إلى أذن المتلقي في الرحلة التي يقطعها الصوت، وينتقل عبر الهواء وذبذباته، وتختلف فيه حدة الصوت وشدته حسب طول الرحلة بدءً من الوشوشة والمناجاة والإسرار للقريب إلى الصراخ والنداء للبعيد. ويمكن في هذه المرحلة التحكم بالصوت وتفخيمه وترقيقه، ودمجه ونحو ذلك من أنواع التحكم، لاسيما بعد التطور المذهل في الآلات الصوتية والسمعية، حيث أمكن خروج الصوت بلغة المتكلم، ووصوله إلى المتلقي في نفس التَّوِّ واللحظة بلغته هو المختلفة عن لغة المتكلم.

وهذه أبرز نتائج البحث:

- الموقف الكلامي في الدائرة الكلامية صورة مبسطة لشمولية اللغة، ولعدم إمكانية فصل ما هو لغوي عما هو مساند لها من فكري ووجداني، وشعوري وسياق اجتماعي، وسياق حاله، وظروف الموقف الكلامي. واللغة في ذاتها في هذه الدائرة، وفي مجملها كظاهره لا يمكن الفصل بين أجزائها، ومكوناتها إلاَّ اعتبارياً للتحليل والدرس، وهذا ما يجب التنبه له حيث يتوهم بعض الدارسين أن هذا الفصل الاعتباري فصلاً ذاتياً.
- ما ينتقل في الدائرة الكلامية من المرسل إلى المتلقي ليس فقط رمزاً لغوياً، بل دلالة ومعنى وتصور، ووجدان وشعور يخالط عقل المتكلم وينبئ عنه. وأن هناك قيماً لغوية، وأخرى دلالية. وأن هناك معنى لغوي، ومعنى وجداني نفسي وقيمة عاطفة، وأخرى منطقية، ولا يمكن الفصل بين هذه الدلالات حيث يختلط ما هو لغوي بغيره وهذا في العموم اللغوي.
- الصوت اللغوي ليس هو الرمز اللغوي، والرمز اللغوي، ليس

هو الدلالة والتصور، بل الصوت يحمل الرمز اللغوي والـذي يحمل بدوره الدلالة والتصور، فالعناصر ثلاث: الرمز اللغوي، الصوت، الدلالة والتصور.

- الرمز اللغوي عندما تستقبله الأذن في الدائرة الكلامية وتحيله إلى الدماغ يثير فيه تصوراً معيناً، هو المتواضع عليه، والذي يثيره ذلك الرمز في الـذهن فالـدلالات متصـورات عقليـة. ومدركات ذهنية تثيرها في الأذهان رموز لغوية معينـة كُـلٌ بخصوصه. فكيف بعد هذا يمكن الفصل بين اللغة والفكر، وما اللغة بدون الفكر والدلالة إلاّ نغم وصوت وصدى ورمز لغوي مبهم.
- التوقع والتهيؤ والاستعداد، والحضور الـذهني بـين طرفـي الإرسالية اللغوية يجعلها أكمل وأسرع، وعليه فإن فهم دلالـة الرمز اللغوي يبدأ من لحظة إعداده عندما يحسن المتكلم سبك الرسالة بناءً على سابق معرفته، أو قوة إحساسه بـالمتلقي، وأيضاً المتلقي بقوة إحساسه، أو سـابق معرفتـه بـالمتكلم وطريقته في كلامه يتوقع كلامه، فتكون الدلالة أكمل وأسـرع وانظر مناظرات العلماء، والحكماء، ولغـة الخاصـة تعطيـك نموذجاً لهذا.
- الكفاية اللغوية والركـام المعرفـي واللغـوي، والحضـاري والجانب الشخصي يؤدي إلى امتلاك اللغة، وقوة التأثير بهـا في الموقف الكلامي نظراً لقدرة الفرد الممتلئ بالكفاية اللغوية لاستثمار القدرات اللغوية الكامنة في بنية اللغـة. وهـذا مـا يجعله مؤثراً إذا أرسل، ومتفهماً إذا استقبل. ومن هنا جـاءت مصطلحات غسـيل الـدماغ. مهـارات الاتصـال. الـذكاء.

الإحساس. والفراسة. وسرعة البديهة ونحوها.

الكلام يقوم بألفاظه ومعانيه، ودلالاته وتَمثُّله الوجداني، وأثره الانفعالي كاملاً متكاملاً في نفس صاحبه قبل أن يرسله، فما يُرْسَل للمتلقي ليس صوتاً ولا رمزاً لغوياً بل حُزمة كاملة من كل ما ذكر.

هناك مستوى آخر من التفكير يقوم به مرسل الرسالة اللغوية عند إدراك خَطَرها من مثل المساءلات القانونية، والمواقف الاجتماعية المحرجة أو التعليمية والاختبارية، وهي زيادة في التفكير تبعاً لإدراك أهمية العبارة والمفردة والمحاسبة عليها.

أبدع القدماء كالجرجاني وغيره في الكشف عن خبايا متقدمة في الدائرة الكلامية والفكر فيها، وإن كان قصده إثبات نظرية النظم. ولكن التأمل الذي قضاه في هذه القضية التي شغلته جعل إنتاجه في هذا الباب شيئاً مميزاً.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- أسس علم اللغة. تأليف ماريوباي، ترجمة وتعليق: د. أحمد مختار عمر، الناشر عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.
- أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسلة اللسانيات، عدد ٦، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث.
- أشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية. (تونس، ٢٣ – ٢٨ نوفمبر ١٩٨١ م) سلسلة اللسانيات عدد ٥ المطبعة العصرية ١٩٨٣ م.
- الأصوات العربية، د. كمال بشر، مكتبة الشباب. ٢٦/١٩٩٠ شارع إسماعيل يسري بالمنيرة.
- الأصوات اللغوية. د. إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.
- أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، د. محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، ط.١، ١٩٨٨م، مؤسسة جواد للطباعة، بيروت-لبنان.
- الألسنية الحديثة واللغة العربية، د. محيي الدين حميدي، العدد ٤٠، أبريل ١٩٩٧م، كتاب جريدة الرياض، عدد ٤٠ أبريل ١٩٩٧م.
- الألسنية علم اللغة الحديث، قراءات تمهيدية د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الحمراء، شارع إميل أده، بناية سلام بيروت لبنان ط ٢، ١٤٠٥هـ-

١٩٨٥م.
- البنيوية واللسانيات. للدكتور محمد الحناش دار الرشاد الحديثة، ٤٠ شارع فيكتور هيكو الدار البيضاء (٣ ٠).
- تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام، د. وليد حمد مراد، دار الرشيد، دمشق، بيروت. مؤسسة الإيمان. لبنان. ط.١. ١٤٠٤هـ.
- التفكير واللغة. تأليف د. جودث جرين، ترجمة: د.عبدالرحمن العبدان، توزيع دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، د. سمير أحمد معلوف، (دراسة في المجاز الأسلوبي واللغوي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٦م.
- الخصائص. صنعة أبي الفتح "عثمان بن جني بتحقيق محمد على النجار، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت – لبنان، دار الكتاب المصرية، طبعة سنة ١٩١٣م.
- الخلفاء الراشدون، تأليف: عبد الوهاب النجار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- دراسات في أصوات اللغة العربية. للدكتور يحيى الجندي، مطبعة الشباب الحر ومكتبتها، ط.١، ١٩٨٣م.
- دراسات وتعليقات في اللغة. للدكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط.١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- دراسة الصوت اللغوي. تأليف الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- الدرس الدلالي عند الأصوليين، د. محمد يوسف حبلص. مكتبة عالم الكتب، ط.١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- الدرس الدلالي في خصائص ابن جني. للدكتور أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ٤٠، سوتير الإسكندرية، ط.١، ١٩٨٩م.
- دروس في الألسنية العامة. فردينان دي سوسير، تعريب صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م.
- دروس في السيميائيات. د. حنون مبارك، دار توبقال للنشر، عمارة معهد التيسير التطبيقى بلقدير، الدار البيضاء (٠٥) المغرب.
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- دلالة الألفاظ. تأليف د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.
- الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، مطبعة النور النموذجية.
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط.٢، ١٩٩٥م.
- السيمياء والتأويل، روبرت شولز، ترجمة: سعيد الغانمى. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- شرح شعر زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب. تحقيق: فخر الدين قباوه، منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت، ط.١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- الشفاء لابن سينا (العبارة)، تحقيق: محمود الخضيري، ط. الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٩٠هـ.
- عالم اللغة، عبد القاهر الجرجاني، د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط.٤، ١٩٨٧م.
- عبقرية اللغة العربية، د. عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ.
- العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
- علم اللسان، د. رضوان القضماني، مؤسسة دار الكتاب الحديثة، بيروت، لبنان، طريق المطار خلف الكلية العامة الهيئة، ص.ب ١٤/٥٩٦٣.
- علم اللغة. د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة – مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة، ط.٧.
- علم اللغة العام. (القسم الثاني الأصوات)، د/ كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر ١٩٨٦.
- علم اللغة العام. تأليف دي سوسير، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز مراجعة د. مالك يوسف الطلبى.
- علم اللغة العام. للدكتور توفيق محمد شاهين، الناشر مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية عابدين.
- علم اللغة مقدمة للقاريء العربي. تأليف الدكتور/ محمود السعران دار الفكر العربي ١١ شارع جواد حسني القاهرة (ص ب ١٣).
- علم اللغة النفسي. للدكتور عبد المجيد سيد أحمد منصور، الناشر عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، ص. ب

٢٤٥٤ الرياض، المملكة العربية السعودية.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، اعتنى به: بيت الأفكار الدولية، توزيع المؤتمن للتوزيع، الرياض، ٦٦٨٨-٤٦٤.
- فصول في علم اللغة العام، تأليف: ف. دي سوسير، نقله إلى العربية: د. أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، ٤٠ ش سوتير الأزاريطة، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- فقه اللغة في الكتب العربية. لعبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت عام ١٩٧٩م.
- فهم اللغة: نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي، تأليف: تيرينس موور وكريستين كار لنغ، ترجمة: الدكتور حامد حسين الحاج، مراجعة: الدكتور سلمان داود الواسطي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، ط.١، ١٩٩٨م.
- في بناء الجملة العربية. تأليف محمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم – الكويت، ط.١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- قواعد تحويلية اللغة العربية. محمد علي الخولي، دار المريخ – الرياض، ط.١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م.
- اللسان والإنسان، د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط.٢، ١٤١٠هـ.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الثالثة، ١٩٨٥م.
- اللغة والتفسير والتواصل، د. مصطفى ناصف، الكويت، عالم المعرفة، رجب ١٤١٥هـ، يناير.

- اللغة وعلم النفس، د. موفق الحمداني، كلية الآداب، جامعة بغداد.
- اللغة والمعنى والسياق، لجون لاينز، ترجمة: عباس صادق، مراجعة: يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد، ط.١، ١٩٨٧م.
- مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد ١، المحرم، ربيع الأول ١٤٢١هـ (أبريل – يونيو ٢٠٠٠م).
- محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان، تحقيق: د. محمد يعقوب تركستاني، حقوق الطبع محفوظة للمحقق.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. للدكتور رمضان عبدالتواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط.٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- مدخل إلى اللغة، للدكتور محمد حسن عبدالعزيز، دار الفكر العربي.
- مدخل إلى اللغة واللسانيات. ترجمة د. حمزة المزيني من كتاب مقدمة في اللغة واللسانيات، لجون لاينز، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ١٤، العدد الأول، عام ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، الناشر: عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود.
- المزهر في علوم العربية وأنواعها، للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، تأليف: نعوم تشومسكي، ترجمة وتعليق: د. محمد فتيح، طبع ونشر: دار الفكر العربي، ط.١، ١٤١٣هـ.
- معيار العلم، للغزالي، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ١٩٩٩م.
- المقدمة لابن خلدون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١م.
- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، وعني بضبطه الأستاذ: محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
- نقض أوهام المادية الجدلية. تأليف: الدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر.